

2272-
7132-
344

2272.7132.344

Nūr al-Dīn

Ḥayāt al-sayyid al-

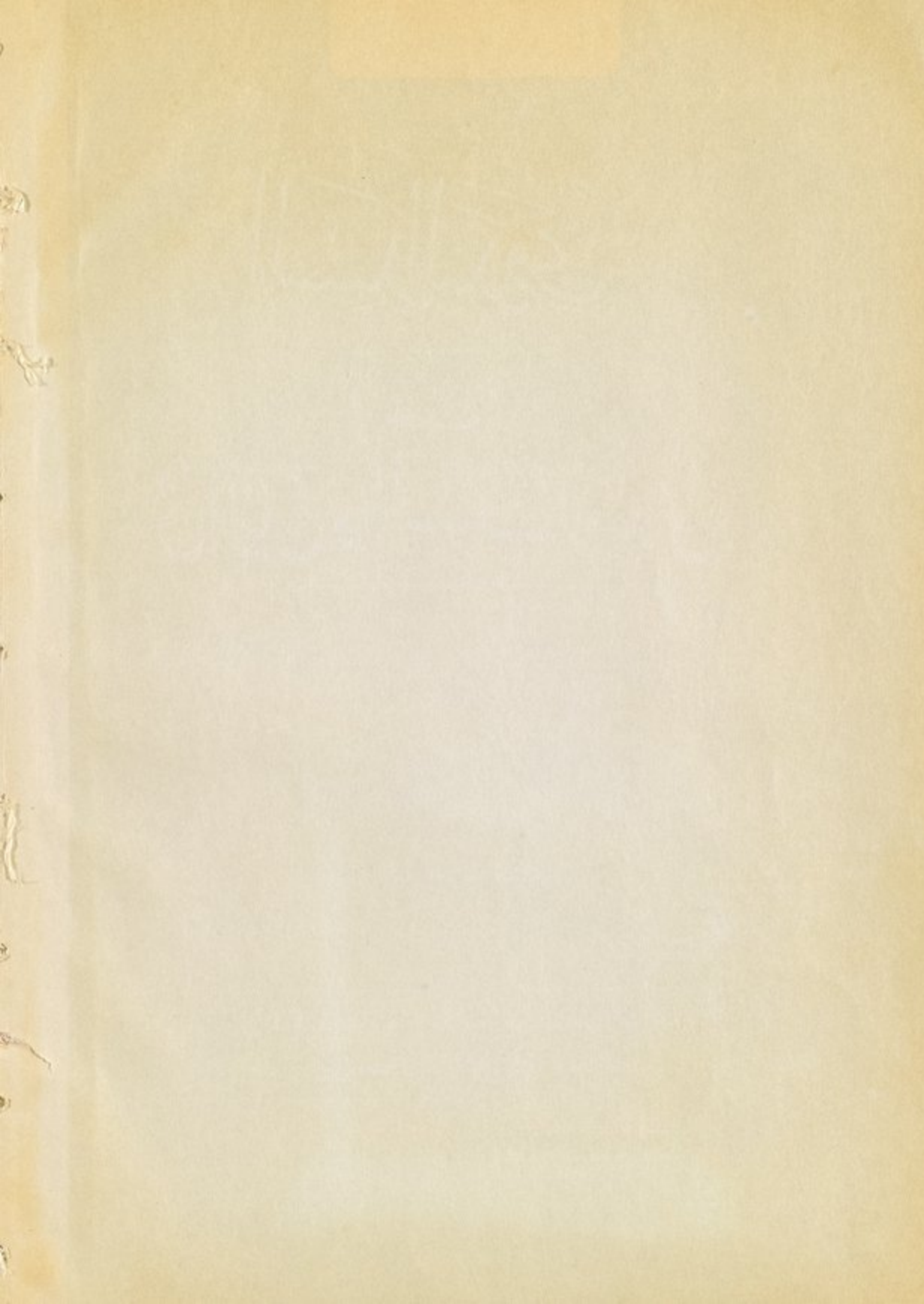
Badawī

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library



32101 074485911



حياة
السيد البدرى

بمخت
فى النياح والنصوف الاسلامى

للاستاذ

ابراهيم خير الدين

المدرس الاول للمواد الاجتماعية
برأس النين الثانوية بالاسكندرية

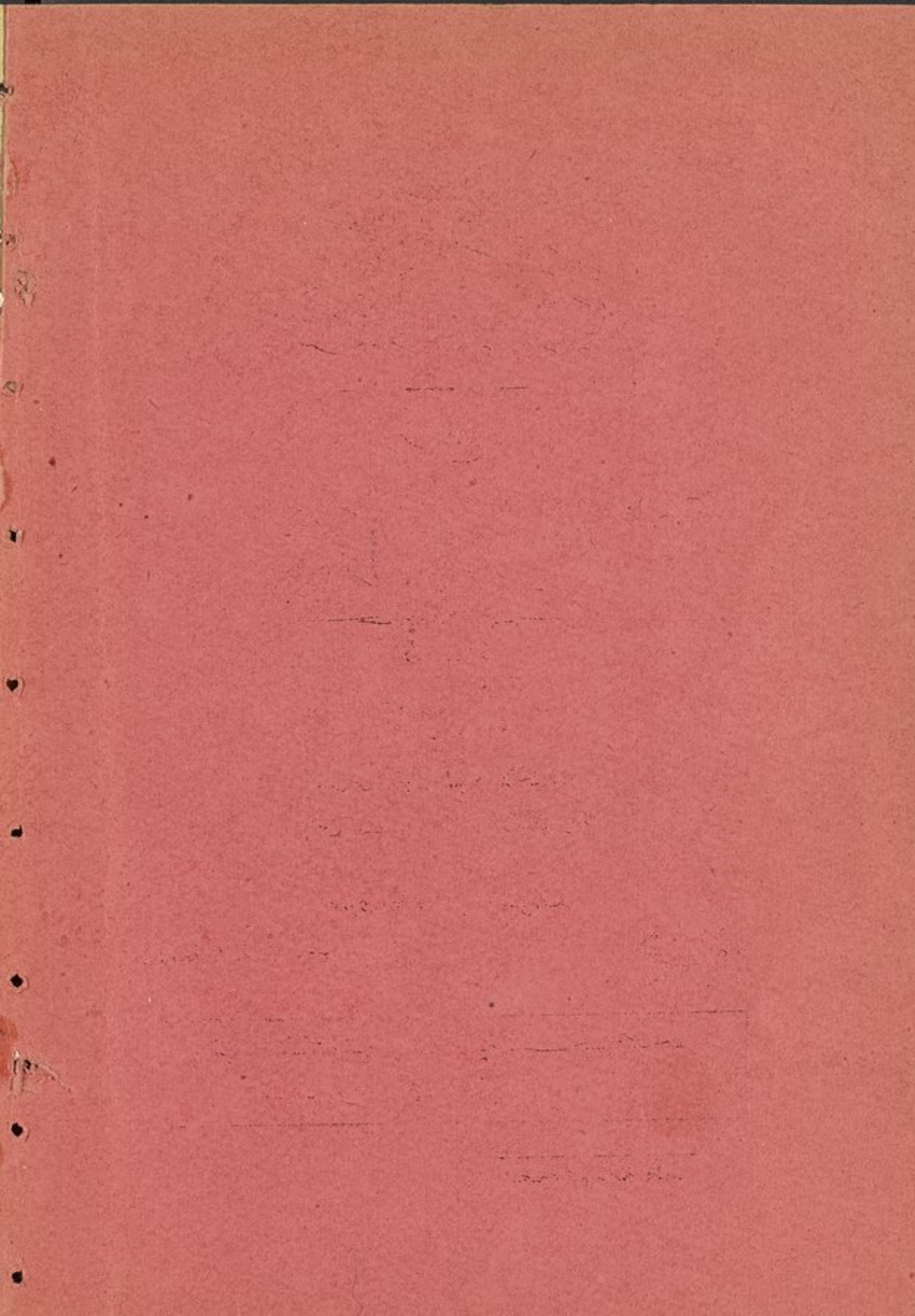
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

التم ٢٠

والطبعة الثانية سنة ١٣٦٩ هـ

يطلب من المكتبة التجارية الاسلامية لصاحبها محمد حسن
أبو العز بطنطا - ومن مكتبة الحانجى بشارع عبد العزيز بمصر

المطبعة الورقية بطنطا



Nūr al-Dīn, Ibrāhīm Aḥmad

Ḥayāt al-sayyid al-Badawī

حَيَاتُهُ
السَّيِّدُ الْبَدَوِيُّ

بِمَحْثٍ
فِي الْبَيَاحِ وَالنَّصُوفِ الْإِسْلَامِيِّ

لِلْأَسَاتِذِ

إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ نُورَ الدِّينِ

المدرس الأول للمواد الاجتماعية
برأس التسين الثانوية بالاسكندرية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

العدد ٢٠

الطبعة الثانية سنة ١٣٦٩ هـ

يطلب من المكتبة التجارية الاسلامية لصاحبها محمد حسن
أبو العز بطنطا - ومن مكتبة الخانجي بشارع عبد العزيز بمصر

المطبعة اليوسفية بطنطا

الطبعة الاولى سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

الطبعة الثانية سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

موضوعات الكتاب

تقدمة : بقلم الأستاذ أمين مرسى قنديل بك المدير العام لدار الكتب بالقاهرة
تقديم : بقلم الأستاذ محمد نوفل بك مراقب منطقة طنطا التعليمية (سابقاً) .
كلمة المؤلف :

- الفصل الأول : ميلاد السيد أحمد البدوى ونسبه ١٣
الثنائى : هجرة أسرة البدوى إلى بلاد المغرب وعودتها إلى الحجاز ٢٢
الثالث : تربية البدوى ٢٩
الرابع : رحلة البدوى إلى العراق ٣٣
الخامس : رحلة البدوى إلى مصر ٤٢
السادس : عصر البدوى ٥٢
السابع : حياة البدوى العلمية ٥٩
الثامن : حياة البدوى الروحية ٧٥
التاسع : علاقة البدوى بمعاصريه من حكام مصر ٩٣
العاشر : وفاة البدوى وأشهر خلفائه ١٠٥
الحادى عشر : الموالد الأحمدية ١٢٣
الثانى عشر : المسجد والمعهد الاحمدى ١٣٩

- ثبت حكام مصر من الايوبيين ١٥٧
المماليك البحرية ١٥٨
البرجية ١٦٠
المراجع ١٦٢

RECAP

2272

. 7132

. 344

الخزائن .. والصور

الخزائن :

٢١	صحيفة	رحلات أسرة السيد أحمد البدوي
٣٨	"	المدن العراقية بين الماضي والحاضر
٤٨	أمام	الفهامة التاريخية لمدينة طنطا
١٥٣	"	رسم تخطيطي للمسجد الاحمدى

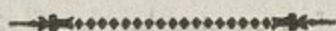
الصور :

٤٩	"	مسجد البهى بطنطا
١٠٤	"	الجانب الامامى لضريح السيد البدوي
١٠٧	"	مخلفات السيد البدوي
١١٠	"	الخليفة بملابس السيد البدوي
١١٥	"	ضريح عبد العال الانصارى
١٢٦	"	ركبة الخليفة فى المولد الكبير
١٢٩	"	زحام الجمهور حول الخليفة
١٤٠	"	الجانب الجنوبي (القبلى) للمسجد الاحمدى
١٤٣	"	جانب من الاعمدة بالمسجد الاحمدى
١٤٦	"	زيارة جلالة الملك فاروق الاول للمسجد الاحمدى
١٤٩	"	المنبر والمحراب
١٥٠	"	قاعة المطالعة بالمكتبة الاحمدية الملحقة بالمسجد الاحمدى
١٥٦	"	الجانب الامامى للمعهد الاحمدى (الدينى)

تقدمة

بقلم الاستاذ الجليل أمين مرسى فنديل بك

المدير العام لدار الكتب الملكية بالقاهرة



كانت وزارة المعارف قد عهدت إلينا بالإشراف على تدريس المواد الاجتماعية ، فانجهدنا بها - فيما انجهدنا إليه - إلى العناية بالدراسات المحلية ، وضرورة توقيف الناشئين على كل ما في بيئتهم التي يعيشون فيها من الظواهر الاجتماعية والثقافية وتشويقهم إلى الاهتمام بكل ما يتعلق بها ، ثم الانتقال بهم تدريجياً إلى ما يقارب هذه الظواهر أو يخالفها في البيئات الأخرى .

ولكن قبل أن يوجه المدرس تلاميذه إلى تفهم ما حولهم من آثار تاريخية ، وظواهر ثقافية شتى ، يجب أن يكون هو نفسه قد ألم بها من قبل ، ووقف على نشأها وتطورها ومدى تأثيرها ، وتحمس لها التحمس الكافي . ولذا أقبل كثيرون من زملائنا المدرسين على تعرف معالم البيئة التي يعملون فيها ، وتوافروا على دراستها من كل نواحيها ، دراسة جديدة تقوم على أسس علمية من حيث المشاهدة والبحث ، وجمع التفاصيل وموازنتها بعضها ببعض ، واختيار ما تثبت صحته وترجع كفته .

وكان الأستاذ ابراهيم احمد نور الدين من أوائل الذين استجابوا إلى هذا التوجيه الجديد ، وإذ كان يعمل في مدارس طنطا الثانوية اعتزم أن يدرس أبرز معالم المدينة وأبعدها أثراً في حياة أهلها الاجتماعية والاقتصادية وهو مزار ولى الله السيد احمد البدوى .

والسيد البدوى عربى الأصل ، مغربى الموطن ، نزح من بلاده وشامت

له الظروف أن يستقر في طنطا ، فنزلها سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠ م) ، ولبت فيها ٣٦ سنة ، متصوفاً متعبداً داعياً إلى الإصلاح والتق ، فالبث أن ذاع صيته والنف حوله كثيرون من المريدين وتكونت له طريقة خاصة تفرعت عنها طرق شتى . وكان العصر في مصر عصر الدولة الأيوبية ، وسلطانها حينئذ الملك العادل أبو بكر ، ولم يكن الشعب راضياً عنه لمجافاته العدالة والدين ، فاعتمت سلطته أن دالت في السنة التي حل فيها السيد مصر ، وتولى العرش أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب . ولا يخفى أن الدولة الأيوبية هذه سذية المذهب ، وأنها حلت محل الدولة الفاطمية الشيعية التي ظلت تعمل سنين طوال على نشر مذهبها بقوة وبطرق عدة ، فخذت الدولة الأيوبية حذوها وإن اتبعت طرقاً غير طرقها ، وكانت الحروب الصليبية لا تزال قائمة يصطدم فيها الشرق بالغرب ، والاسلام بالمسيحية ، فكانت جموع الصليبيين وشرادهم تغد من الغرب متجهة شرقاً نحو مصر والشام ، تدفعهم حماسهم الدينية ، أو مطامعهم الاقتصادية ، أو هربهم مما هم فيه من شقاء وفاقة واستبداد ، ذلك إلى أن دولة المسلمين في الأندلس قد اضطرب جبلها واختلف أهلها فيما بينهم ، فتألب عليهم المسيحيون الأسبان يقطعون بلادهم الجزء بعد الجزء ، حتى لم يسكد يتبقى في أيدي المسلمين سوى غرناطة .

فألحزن الممض على تقلص تلك الحضارة الزاهرة التي لم تر أوروباً مثلهافي عصرها ، والعنت والاضطهاد للذان كانا من نصيب المسلمين الذين قضى عليهم أن يخضعوا لحكام غير مسلمين في إسبانيا ، دفع الكثيرين إلى تطلب راحة النفس في الهجرة عن الأندلس ، أو في التصوف والزهادة ، فغادرها كثيرون واتجهوا كذلك نحو الشرق يحملون العلم والتقوى والإصلاح ، لا الحرب والتعصب والفساد .

ومن جهة أخرى ، كان التتر في الشرق الأقصى قد تحركوا نحو الغرب ، فاندفعوا بحمافهم الجارفة ، واكتسحوا الشرق ، وقضوا على الدولة العباسية

سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، وحطموا حضارتها وأحرقوا كتبها ومظاهرها ثقافتها وألقوا بها في دجلة لتسكون جسوراً يعبرون النهر عليها .

وهكذا كانت البلاد الإسلامية في أزمة حريسة ، فالتتر يهاجمونها من الشرق ، والمسيحيون يهاجمونها في الاندلس من الغرب ، أو ينتقلون إلى بلادهم في الشرق ، فأصبح المسلمون بين طرفي كاشة ، فهبوا يدفعون العدوان عن بلادهم يكافحون هؤلاء وهؤلاء ويدافعون عن دينهم .

كان المسيحيون يحاربون باسم الدين والمسيح ، والمسلمون يدافعون عن بلادهم باسم الله وباسم الرسول ، وكان الدين أكبر العوامل وأقواها أثراً في العصور الوسطى ، ذلك إلى أن نظم الحكم الاستبدادية قد كبدت الأفراد الكثير من الشقاء ، مما جعل الناس يفضلون اعتزال هذه الحياة الدنيا ، فالتجأوا إلى الأديار إنتظاراً للحياة الأخرى ، أو الالتحاق بالجيوش المحاربة تطلباً للاستشهاد والحرب من عسف الحكام . وهكذا اختلط احتقار الدنيا والزهادة فيها بالأمل المرجو في الحياة الأخرى الخالدة ، فبينما تفرغ جماعة للحرب والقتال تفرغ غيرهم للحياة الروحية ، حياة التأمل والتعبد ، فانقطع كثيرون من صلاح المسلمين إلى التصوف العملي والنظري ، وجعلوا يتنقلون في بلاد المسلمين داعين إلى التقى والصلاح ، وكانوا يمجدون حيثما حلوا أهلاً وإخواناً يلتفون حولهم ويأخذون عنهم .

فلا غرو أن كان تجمع هذه العوامل كلها ، من حروب وعسف واستبداد وقلق نفسى ، وتدين غالب وزهادة في الحياة ، وتطلب للعلم الدينى وتطلع للعرفة - قد جعل ذلك العصر يحفل بكثير من الزهاد والمتصوفة وطرقهم الكثيرة ، ولا عجب أن يفد كثيرون من الاندلس وبلاد المغرب إلى الشرق يحملون معهم دواعى الراحة والطمأنينة والزهادة في الحياة إلى حيث توجد الحرب والقتال والمطامع والتكالب على الحياة .

ففي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وفد على مصر وغيرها من البلاد الشرقية أبو الحسن الشاذلي ، وأبو العباس المرسي ، والشاطبي ، والتف حولهم ابن عطاء الله السكندري وياقوت العرشي ، وأبو القاسم القباري ، وكلهم استوطنوا الاسكندرية .

كذلك جاء إلى مصر السيد أحمد البدوي واستقر في طنطا فقصى بها ٣٦ عاما ، كما ذكرنا ، على سطح منزل مناجياً ربه منقطعاً لعبادته ، والتف حوله خلق كثيرون جاءوا من مختلف أنحاء البلاد للسيرك والزيارة ، وأقيمت له المجالس العديدة والموائد الكثيرة ، مما جعل طنطا تحفل برواد التجارة والسكسب ، كما حفلت بطلاب البركة والعلم ، فأصبح مزار السيد والجامع الاحمدي كعبة يتجه إليها آلاف الزوار ، فانتسعت المدينة ونمت على مر الزمان فاقتزن اسم السيد البدوي بكل مرافقها وظواهر الحياة الاجتماعية فيها . هذا وقد كثرت الشائعات حول كراماته ومناقبه وأعماله الخارقة للعادة والمألوف حتى اختلطت الحقيقة بسكثير مما لا يرتضيه العقل .

فعمد الاستاذ ابراهيم أحمد نور الدين إلى دراسة حياة البدوي وشخصيته وحالة التصوف والمتصوفة في عصره ، وأثر كل ذلك في الحياة الاجتماعية في طنطا ، وعكف على مآلديه من مراجع يبحث وينقب ، يحدوه التحقيق العلمي ومنهج البحث التاريخي . ويرى القارىء من ثبت مراجعه ومن سياق كتابه أنه بذل الجهد وحقق السكثير مما يرجى منه ، فأسدى بذلك يداً إلى طنطا وللتاريخ وللترية الحديثة ، ولاشك في أن جهوده الموقفة التي بذلها في الدراسة والبحث ، واتجاهه إلى ربط الناحية العلمية بالناحية العملية ، والمدرسة بالمجتمع والتليذ بالبيئة - كل هذه ستزيد في توجيهه نحو مواصلة الدرس ، ومتابعة البحث حتى يبلغ بفته وعلمه المستوى العالي الذي نرجوه للباحث المحقق ، والمدرس العامل ، والشباب الطامح ، والوطن الخالد ٩

تقديم

بقلم الاستاذ الجليل محمد نوفل

مراقب منطقة طنطا التعليمية (سابقاً)

ألقي الأستاذ ابراهيم أحمد نور الدين جملة محاضرات عن حياة السيد البدوي ، بطنطا استمع إليها عدد كبير من الناس ، وفي مقدمتهم رجال الدين و علماء المعهد الاحمدى ، ورجال التعليم .

وكانت لى متعة الاجتماع إليها ، وقد صاغ هذه المحاضرات فى كتاب قيم أودع فيه أسرارها ، ونسج فيه على منوال تاريخى طريف بلغة مستساغة عذبة جزلة ، وضم بين دفتيه كل ما يتصل بحياة هذا البدوي الرحالة الصوفي الزاهد الورع ؛ وهو ، كما يقول المؤلف : « من القليلين الذين ذاع صيتهم ، واشتهر أمرهم فى مصر خاصة والشرق عامة فى القرن السابع الهجرى » .

وهذا المؤلف قد ملأ فراغاً ملحوظاً فى تاريخ التصوف عامة وطنطا خاصة وهى المدينة التى تدين لهذا البطل بشهرتها العالمية ؛ وتقدمها العمرانى والاقتصادى إلى حد كبير .

وقد استعان المؤلف بشتى المراجع ؛ ودقق فى بحوثه ، وحقق الأسانيد ومحصها ، ونظر نظرة الباحث بمنظار العصر نفسه . وقد أحسن بما عرّف به طريقته إذ يقول : « إن من الحكمة وحسن التقدير أن ينظر الباحث إلى العصر

الذى يكتب فيه بمنظار العصر نفسه ، وأن يكون حكمه قائماً على قاعدة القياس مع الفارق ، فيعطي ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

هذه روح المؤرخ النزيه الذى لا تلهيه المظاهر الخلابه ، أو العبارات المنمقة عن عرض الشئ على حقيقته الناصعة المجردة من كل شوائب الخطأ والزيغ - لقد أدى الأستاذ المؤلف مهمته وحسبه من العلم وعن العلم رضا النفس وراحة الضمير ، ولقد أظهر البدوى للعالم على حقيقته ، فأزال عن عيون الناس غشاوة الأساطير الكاذبة ، والأراجيف الباطلة المنسوبة إليه ظلماً وعدواناً .

لقد استحق الأستاذ بمجهوده هذا من التاريخ العرفان بالجميل ، ومن أهل العلم كل تقدير وإعجاب وثناء .



كلمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد بن عبد الله ، ومغفرته
ورضوانه للصحابة والتابعين، والأولياء الصالحين، الذين آمنوا وكانوا يتقون
وبعد : أفتتح بحثي عن تاريخ حياة « السيد أحمد البدوي » العابد الزاهد ،
أحمد بن علي بن إبراهيم الذي يتصل نسبه بعلي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه .
اشتهر أحمد البدوي بالديار المصرية عامة ، وبطنسنا (طنطا) خاصة ،
في القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي ، فلك على كثير من
المصريين مشاعرهم ، وملأ قلوبهم محبة له لما اتصف به من التقوى والورع
والصلاح . .

وقد استرعت هذه الحالة أنظار مؤلفي « دائرة المعارف الإسلامية » -
وهم من جهازة المستشرقين - ف سجلوا له في ثقة وصرامة أنه : « أكبر أولياء
مصر ، وعجل تقديس أهلها منذ قرون (١) » .

وقد سبقهم إلى ذلك الشيخ عبد الوهاب الشعراني فقال : « إن شهرته في
جميع الأقطار تغني عن تعريفه (٢) » .

وليست دراسة تاريخ السيد البدوي سهلة المنال دانية القطوف ، وذلك
لاتصالها بحركتين عظيمتين :

الأولى ديفية فلسفية ، وهى التصوف الاسلامى . والثانية ديفية سياسية وهى التشيع لعل بن أن طالب وأولاده من بعده .

ولقد بدأت هذا البحث بعد أن نقلت مدرساً بمدرسة طنطا الثانوية سنة ١٩٤٣ ، وذلك رغبة فى دراسة البيئة التاريخية لهذه المدينة ، وأتممت بحى سنة ١٩٤٦ ، ولكنى لم استطيع طبعه ونشره إلا سنة ١٩٤٨ لظروف طارئة .

والعلل قد استطعت بما وفقت إليه من حقائق ، أن أكون قد أوضحت ماغض من تاريخ البدوى ، وما خفى من بعض أسرار عصره ، مما يراه القارىء الكريم مفصلاً فى هذا الكتاب ، الذى أتشرف بتقديمه قبل نقله إلى مدرسة دمنهور الثانوية .

ونظراً لما لمست من إقبال الجمهور على طلب الكتاب حتى نفذت طبعته الأولى ، رأيت أن أعيد طبعه مرة ثانية لأهيه الفرصة لكل من يريد الاطلاع عليه .

وقبل أن أختم كلمتى لا يسعنى إلا أن أقدم عظيم شكرى وتقديرى لكل من ساهم فى إتمام هذا البحث وساعد على إخراجه ، وفقنا الله لخدمة العلم ، وهدانا جميعاً الطريق القويم فى عهد جلالة الفساروق العظيم ، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

ربيع الثانى سنة ١٣٦٩ هـ

يناير سنة ١٩٥٠ م



الفصل الأول

ميلان السيد أحمد البدوي ونسبه

١ - تاريخ المولد وتحفة :

ولد أحمد البدوي بمدينة فاس ، بالمغرب الأقصى (مراكش) سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) .

وقد أجمع المؤرخون والرواة على صحة هذا التاريخ ، كتق الدين المقرئ وجلال الدين السيوطي ، وعبد الوهاب الشعراني ، وعبد الصمد زين الدين ، والحفاجي ، ومؤلفي دائرة المعارف الإسلامية (١) ، وغيرهم ممن نقل عنهم قديماً وحديثاً .

وقد أوضح بعض من ذكرنا تاريخ ميلاد أحمد صراحة كالسيوطي (٢) وعبد الصمد (٣) ، وروى بعض آخر هذا التاريخ بطريق غير مباشر ، فروى المقرئ أن تاريخ وصول أسرة أحمد إلى مكة للحج كان سنة ٦٠٧ هـ ، في الوقت الذي كانت فيه سنة إحدى عشرة سنة ، فيكون تاريخ ميلاده سنة ٥٩٦ هـ . أما الشعراني فقد قال إن الأسرة خرجت من بلاد المغرب للحج سنة ٦٠٣ هـ ، عند ما كانت سن أحمد سبع سنوات ، فيكون تاريخ ميلاده سنة ٥٩٦ هـ (٤) .

(٢) حسن الحاضرة : ج ١ ص ٢٩٩

(١) راجع ثبت المراجع بآخر الكتاب

(٤) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٥

(٣) الجواهر ص ٥

ويقول مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية : « ولد أحمد بفاس بزقاق الحجر ويحتمل أن يكون ذلك سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) (١) ، ويظهر من قولهم نص الاحتمال بغير تأكيد أو تحقيق .

ولعل ذلك يرجع إلى جهل الرواة - على اختلاف مشاربهم وعصورهم ومراجعهم - باليوم أو الشهر اللذين ولد فيهما أحمد ، إلا أن اتفاق اثنين من أشهر مؤرخي العصر ، وهما المقرئ ، المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ، والسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ، أكبر دليل على صحة ذلك التاريخ .

ويعتبر تحقيق ميلاد أحمد من الأمور العظيمة الأثر في تاريخه ، إذ يجعل ما نسب إليه من صلته بالفاطميين ضرباً من المغالطة والافتراء وبخاصة إذا علمنا أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قد بدأ في تأسيس دولته بمصر بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) ، أي قبل ميلاد أحمد بنحو تسع وعشرين سنة (٢) .

وإذا كانت هناك صلة بين أحمد وبعض فرق الشيعة الأخرى فإنها ليست عن طريق الفواطم بحال ما ، كما سيظهر من دراسة نسبه .

٢ - النسب ومشتدات الرواة فيه :

اتفقت الروايات على أن نسب أحمد متصل بجده عليّ بن أبي طالب ، إلا أنه ظهر بعض الخلاف في تسلسل هذا النسب وبخاصة حول « حسن العسكري ،

(١) المجلد الاول : ص ١٦٥

(٢) من الشائعات أن البدوي كان جاسوساً فاطمياً ، وأنه حضر إلى مصر لانغراض سياسية ، وهذا مخالف للواقع كما سيظهر في أثناء البحث .

الامام الحادى عشر من الائمة الاثني عشرية ، وأحد أجداد أحمد الأوائل ،
فضلا عن الخلط بين الاسماء المتشابهة ونسبة الألقاب إليها ، فقد ورد اسم
محمد ، أكثر من مرة ، وكذلك حسن ، و جعفر ، وتشابهت الألقاب على
الرواة فنسبوا لقب الجواد ، إلى محمد آخر غير محمد الجواد ، الاصيل ، المتوفى
سنة ٢٢٠ هـ . وأضافوا لقب الهادى ، أو الرضا ، إلى على آخر غير على
الهادى ، الحقيقى ، المتوفى سنة ٢٥٤ هـ ، أو غير على الرضا ، الذى اختص
بهذا اللقب فى الاصل ، وهو المتوفى سنة ٢٠٢ هـ ، كما أطلقوا على حسن بن جعفر
لقب العسكرى ، الذى يُنسب فى الاصل إلى عمه حسن ، بن على الهادى (١) .
وأول من روى نسب أحمد ، هو الشيخ يونس بن عبد الله (٢) المعروف
بابن أزبك الصوفى ، فى كتابه النسبة ، الذى اعتمد عليه صاحب الجواهر
والنفحات (٣) اعتماداً كبيراً فيما كتباه عن تاريخ أحمد البدوى .
وقد خلط ابن أزبك خطأ ظاهراً فيما قال ، فأطلق على حسن بن جعفر ،
أخى حسن العسكرى ، لقب العسكرى ، ثم أسقط اسم حسن العسكرى
الاصيل من سلسلة النسب كلية ، كذلك خلط بين على الهادى ، وعلى الرضا ،
فحذف من السلسلة علماً الهادى ، ومحمداً الجواد لأنه لم يعرف بالدقة - على
ما يظهر - الموضع الحقيقى لكل منهما فى سلسلة النسب (٤) .

على أن ابن أزبك يناقض نفسه فيذكر نسب الامامية الاثني عشرية واضحاً

(١) وفيات الاميان : ج ١ ص ١٣٥ و ٣٢١ .

(٢)راجع أنه يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني شيخ الطريقة اليونسية ، المتوفى سنة

١٧٩ هـ كما روى المفريزي . (راجع وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٢٠) .

(٣) ما عبه الصمد والخفاجى (راجع ثبت المراجع بآخر الكتاب)

(٤) راجع الاصل فى الجواهر ص ٦ وفى النفحات ص ٥٦ .

في آيات من القمر ، قال إن أحمد ردهما في منامه قبيل رحيله إلى العراق ،
وقد نقلها صاحب الجواهر وهاك نصها (١) :

إمام ملوك الأرض شرقاً ومغرباً وأفضلهم طه الحبيب المطيب
أبو بكر الصديق مع عمر كذا وعثمان ذو النورين (٢) بالفضل قد حبوا
ومن بعدهم زين العشائر كلهم عليّ ، أمير المؤمنين ، الملقب
ومن بعده الحسن المنير جبينه سقى من شراب بالسموم مشرب
ومن بعده حبيّ الحسين كريمه شريف ، شهيد (٣) ، مات وهو مطيب
وناحت لهم كل الطيور بأسرها ووحش الفلا ، كل ينوح ويندب
وجاءت لهم طير تنوح لحزنهم وهم في الدما بين الأعادي نقلوا
وقاتلهم في النار أضحي معذباً بقتلهم أمسى شقيقاً يعذب
ومن بعدهم زين القبائل كلهم عليّ ابنه ، فهو الشريف الملقب
ومن بعدهم قطب العلوم محمد وجعفر موسى ، من أصول تطيبوا
ومن بعدهم ذاك الرضاء عليهم بطوس (٤) ، له قبر كريم محجب
ومن بعدهم ، زين الرضاء محمد كذا ابنه الهادي ، على المقرب
وأما على فالخليفة بعدهم على سائر الأقطاب وهو مؤدب
والأئمة الاثنا عشرية الذين وردت أسماؤهم في هذه الآيات هم :

(١) ورد نص هذه الآيات في الجواهر ص ٣١ ، ويتفق ما جاء بها من نسب الشيعة الامامية

مع ما هو معروف الآن من نسبهم على التحقيق

(٢) سمي كذلك لزوجاته اثنتين من بنات الرسول وهما زينب ورقية على التوالي

(٣) يشهد الى حادثة كربلاء التي قتل فيها الحسين سنة ٦١ هـ

(٤) بلد بخراسان ، بها قبر علي الرضي ومروان الرشيد

١ - علي بن أبي طالب - ٢ - الحسن بن علي - ٣ - الحسين بن علي
 ٤ - علي (زين العابدين) بن الحسين - ٥ - محمد (الباقر) - ٦ - جعفر
 (الصادق) - ٧ - موسى (الكاظم) - ٨ - علي (الرضا) - ٩ - محمد (الجواد)
 ١٠ - علي (الهادي) - ١١ - حسن (العسكري) - ١٢ - محمد (المهدي) المنتظر
 ويشير أحمد في البيت الأخير إلى مركز أبيه (علي) في الخلافة الصوفية
 أو القطبية بين المتصوفة .

وفي الحقيقة ، إن نسب أحمد في هذه المرحلة لا يختلف فيه اثنان . وقد
 أجمع الكتاب والرواة في كل عصر على صحة ما رواه ابن ابيك في أبيات
 الشعر السابقة ، كابن خلكان (١) ، واستانلي لينبول (٢) ، ومؤلفي دائرة المعارف
 الإسلامية (٣) .

٣ - تحقيق النسب :

ولكن موضع الضعف في سلسلة النسب جاء في المرحلة التالية ، إذ أن
 محمداً (المهدي المنتظر) ، الامام الثاني عشر ، ابن حسن العسكري ، اختفى
 سنة ٢٦٠ هـ ، ولم يعقب ، فظل أمر الامامة متصلاً بوالده حسن العسكري
 وبجعفر أخيه ، وهو الذي كان ينافسه في منصب الامامة ، والذي ورد اسمه
 مع ابنه حسن من بعده في نسب أحمد ، وكان سيياً في كثير من الخطط
 والاضطراب في الأسماء وألقابها .

(١) الوفيات : ج ١ ص ٣٢٠ وما بعدها (٢) تاريخ مصر في المصور الوسطى : ص ١١٦

(٣) المجلد الاول : ص ٤٢٩ .

ومما يزيد في تعقيد هذه المرحلة من النسب أن هناك اسماً آخر لشخص من أصل فارسي يدعى «حسن بن جعفر النوبختي» ، تزعم فريقاً من الشيعة لينافس جعفرأ ، أخا حسن العسكري ، ولقد أدى هذا التنافس إلى الاحتكام إلى القضاء في بغداد ، وبخاصة عند ما ادعت (تحصيل) ، زوجة حسن العسكري الحمل بعد سبع سنوات من وفاة زوجها ، ف قضى القاضي لجعفر أخى حسن العسكري بحقه في الإمامة سنة ٢٦٧ هـ (١) .

وعلى الرغم من تعقد سلسلة النسب بعد حسن العسكري ، كما مرّ بنا ، فقد أثار لنا المقرئى السبيل ، ولكنه حاول أن يجنب نفسه طريق الوقوع فيما وقع فيه سابقوه من الخلط بين الأسماء وألقابها ، فأورد الأسماء في ترتيبها الطبيعي دون ألقاب إلا في القليل النادر ، وإن أوردناها هنا كما نقلها عنه الخفاجى (٢) . وأضيف إلى الأسماء ألقابها الصحيحة بين أقواس :

هو السيد أحمد بن على بن ابراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن عمر بن على بن عثمان بن حصين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن على ابن محمد بن حسن بن جعفر (٣) (وهو أخو حسن العسكري) بن على (الهادى) ابن محمد (الجواد) بن على (الرضا) بن موسى (السكاظم) بن جعفر (الصادق) ابن محمد (الباقر) بن على (زين العابدين) بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

(١) الفاطميون في مصر : ص ٤٨ وما بعدها ، الوفيات : ج ٢ ص ٤٠١

(٢) النفحات : ص ٥١

(٣) الأسماء ، التى وصح تحتها خط محذوفة من سلسلة النسب المنقوشة على الضريح

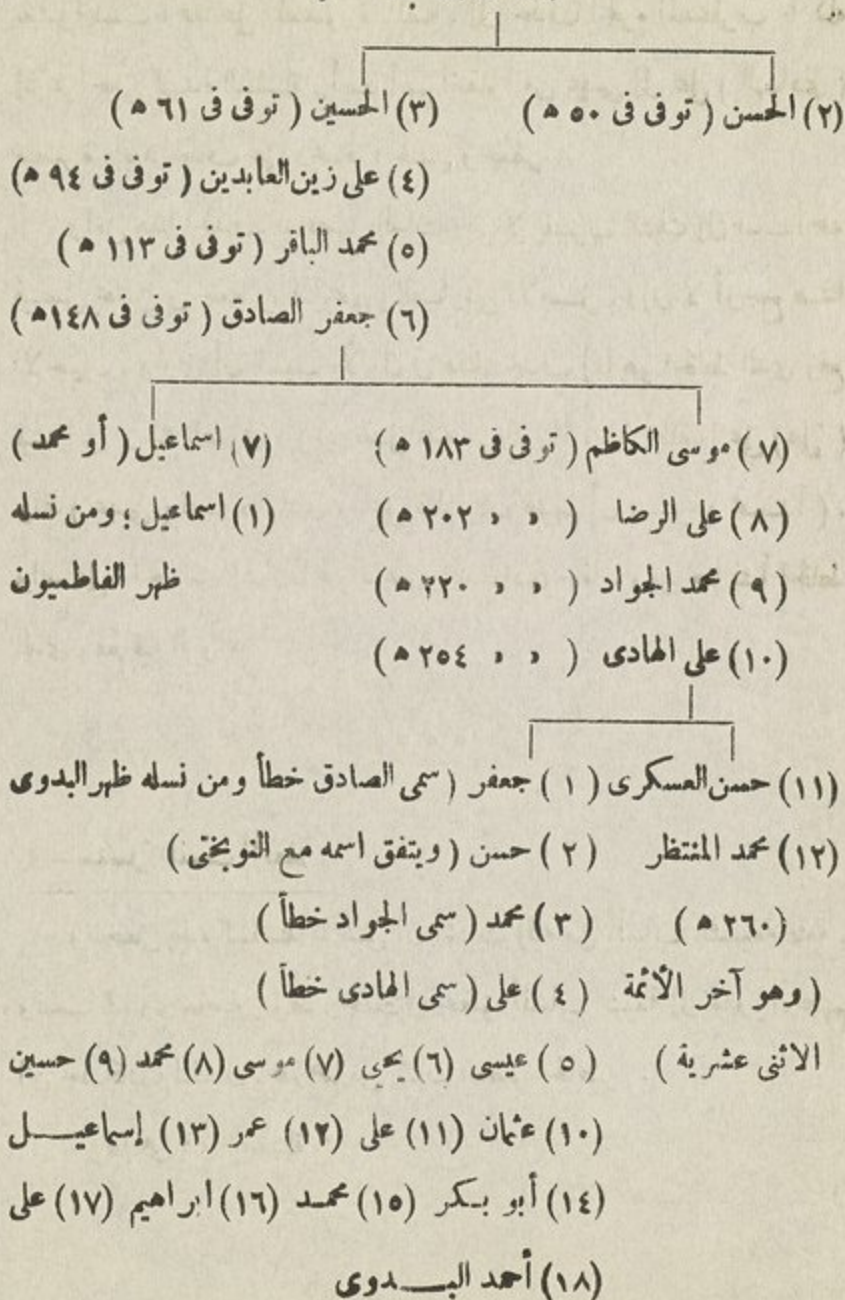
ولقد كان من نتائج الاضطراب في سلسلة النسب أن اضطر أولئك الذين
نقشوا نسب أحمد على المقصورة بالقبة ، إلى حذف الجزء المضطرب بأكمله
إذ بمراجعتي لهذه السلسلة رأيت أنهم انتقلوا من عيسى إلى علي (الهادي)
مباشرة ، بعد حذف علي ومحمد وحسن وجعفر .

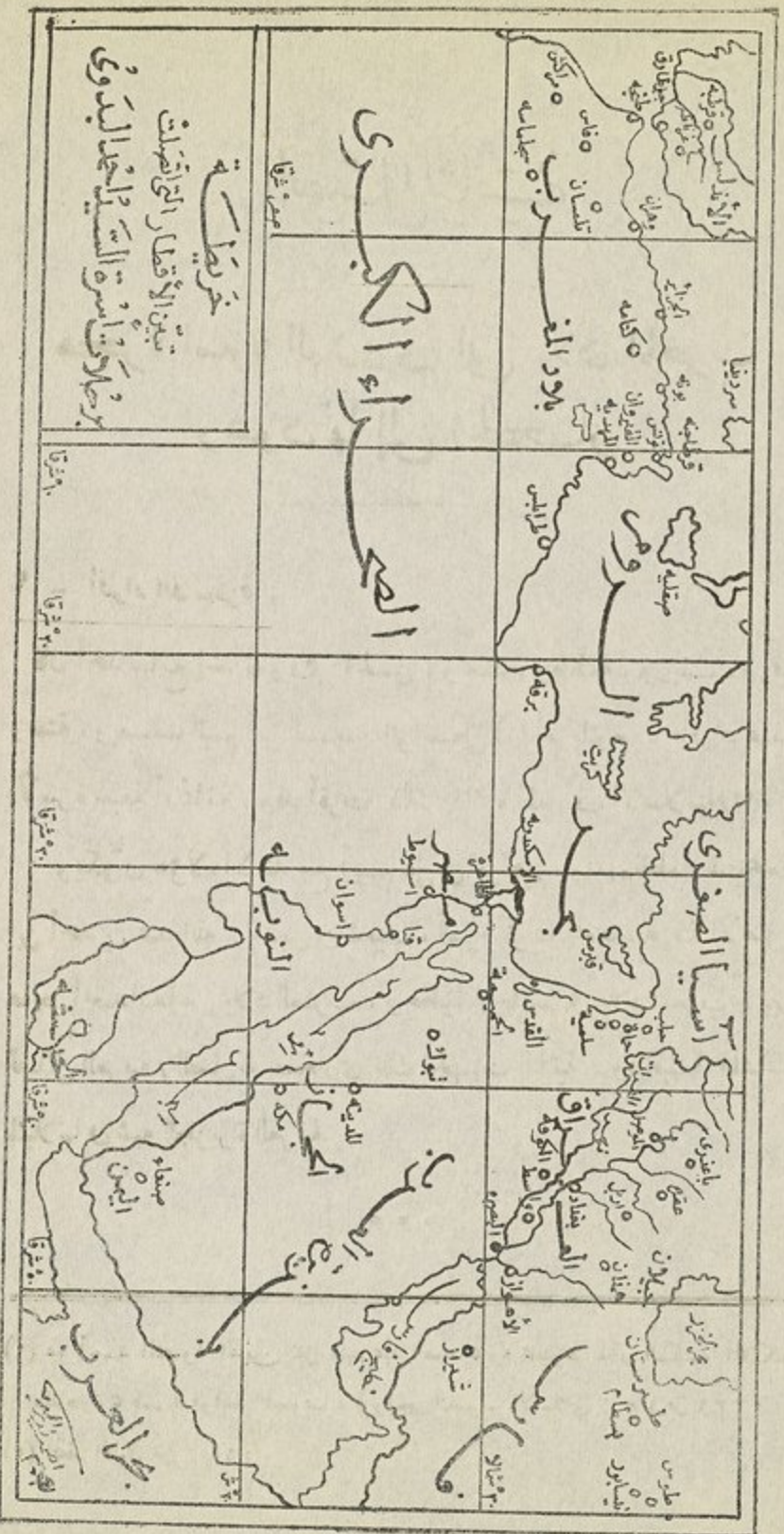
ولعل هذا الحذف قد قصد بالذات حتى لا يتسرب الشك إلى نسب أحمد
فيتصل بحسن بن جعفر النوبختي ؛ الفارسي الاصل ؛ وإن لا أرجع هذا
الاحتمال ، وأرى أن السبب الأول في هذا الحذف إنما هو الخلط الذي وقع
فيه ابن أزيك الصوفي ، ومن نقل عنه من الرواة ، إذ أطلقوا على (علي)
والد (عيسى) لقب د الهادي ، وعلى ذلك كان عليهم أن يسموا (محمداً) ،
والد علي د الجواد ، إذ أن الجواد هو والد الهادي حقاً ، ومن هنا نشأ الخلط
الذي وقع فيه الرواة .

٤ - سلسلة النسب المحققة :

وتلخص هذه السلسلة ما سبق أن أشرت إليه من أنساب الشيعة عامة ؛
ونسب البدوي خاصة ، وقد رجعت في تحقيق أنساب الشيعة إلى ما رواه عنهم
ابن خلكان وليقبول وغيرهما من كتاب العصر الحاضر .
وما هي ذي السلسلة :

(١) علي بن أبي طالب





الفصل الثاني

هجرة امرة البدوي الى بلاد المغرب وعودتها الى الحجاز

١ - أفراد الأسرة :

كان أحمد سابع إخوته ، وم : الحسن ، ومحمد ، وفاطمة ، وزينب ، ورقية
وفضة ، ويضيف اليهم أبو السعود الواسطي (١) أم كلثوم ، فأفراد هذه
الأسرة سبعة أو ثمانية ، وقد أقرت ذلك دائرة المعارف الاسلامية (٢) .
ويكون هؤلاء الأبناء مع أبيهم علي بن ابراهيم ، وأمه فاطمة بنت محمد
ابن أحمد بن عبد الله بن مدين بن شعيب ، أسرة كريمة المحتد ، عربية الأصل ،
هاجر أجدادها من بلاد العرب ، وحطوا رحالهم في بلاد المغرب ، بين
القبائل العربية ، الضاربة بصحاري تلك الجهات النائية ، وفيافيها المشابهة
لمثيلاتها في شبه الجزيرة العربية .

(١) هو أحمد التصوفية الذين نقل عنهم عبد الصمد ، وله مخطوط بدار الكتب الملكية

بالقاهرة ، باسم « قواعد التصوف » (راجع التصوف الاسلامي : ج ١ ص ٣٣٩)

(٢) المجلد الاول ص : ٤٦٥

٢ - تاريخ الهجرة من الجواز إلى المغرب وتحقيقه :

ولا يعرف بالضبط تاريخ هجرة هذه الأسرة إلى بلاد المغرب ، ويرجع كل ما تناقله الرواة في هذا الصدد إلى رواية ابن أزيك الصوفي ، التي رواها في نسبته ، الشهيرة ، وقد نقل عنه كل من كتب عن تاريخ أحمد دون تمحيص أو تحقيق .

وتتلخص تلك الرواية في أن هجرة الأسرة إلى بلاد المغرب كانت سنة ٧٣ هـ ، على يد محمد الجواد بن حسن العسكري بن جعفر ، فراراً من ظلم الحجاج الثقفي . وتعبه للعلويين بمكة بعد استشهاد عبد الله بن الزبير (١) . ويردد الشعراء هذه القصة فيقول : « كان مولد أحمد بزقاق الحجر ببلدة فاس بالمغرب الأقصى ؛ لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج إليها ، حيث أكثر القتل في الشرفاء (٢) » .

ويتم على مبارك باشا القصة في خطه فيقول : « وأول من نزل من أجداده ببلاد المغرب ، هو محمد الجواد بن حسن العسكري ، من نسل علي ابن أبي طالب (٣) » .

وتقرر ذلك دائرة المعارف الإسلامية فنقول :

« انتقل أجداده إلى مدينة فاس حوالى سنة ٧٣ هـ (٦٩٢ م) ، عند ما اضطرت أحوال الجزيرة العربية (٤) » .

(١) الجواهر : ص ١٠ ، النفحات : ص ٦٤

(٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٥ (٣) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٨

(٤) المجلد الأول : ص ٤٦٥

غير أن هذه القصة التي أجمع على صحتها الكتاب السابقون لا تتفق والحقائق التاريخية المعروفة إلا في جزء منها فقط ، إذ أنه من المسلم بصحته تاريخياً أن الحجاج بن يوسف الثقفي دخل مكة حيث استشهد ابن الزبير في جمادى الآخرة سنة ٥٧٣ هـ (٦٩٢ م) ، وذلك في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٥ = ٦٨٥ - ٧٠٥ م) ، حفظاً لكيان الدولة الأموية ، ورغبة في القضاء على خلافة ابن الزبير التي هددها ردحا من الزمن (١)

أما بقية القصة فلا تعتبر بحال جزءاً متمماً للحقيقة التي سبقت الإشارة إليها ، إذ أن محمداً الجواد بطل هذه القصة ، لم يكن قد ولد بعد ، فهو الإمام التاسع من الأئمة الاثني عشرية ، المتوفى سنة ٢٢٠ هـ .

وإذا قصد بمحمد (الجواد) محمد بن حسن بن جعفر بن علي الهادي - كما أسلفنا في سلسلة النسب ، وكما كان يعتقد ابن أزيك خطأ - يكون ذلك أدعى إلى نقض هذه القصة من أساسها ، لأن محمد بن حسن بن جعفر عاش في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري (بعد سنة ٢٦٠ هـ) ، وليس في نهاية القرن الأول (حوالى سنة ٧٣ هـ) ، كما روى ابن أزيك ومن نقلوا عنه .

وما يؤكد لنا أنه كان يقصد هذا المعنى الأخير ، أنه روى في قصته أن محمداً الذي سماه (الجواد) تزوج عند ما دخل فاس من ابنة السلطان ، وكان أول أولاده منها علياً (الهادي) ، ولما تزوج علياً هذا ، كان أول أولاده عيسى إلى آخر ما سبقت الإشارة إليه في سلسلة النسب .

فكأنه كان يقصد بمحمد (الجواد) محمد بن حسن بن جعفر ، أبا حسن العسكري ، لا محمداً الجواد بن علي الرضا ، وفي هذه الحالة يمكننا أن نستنتج أن أسرة أحمد انتقلت إلى المغرب في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري ، أي بعد سنة ٢٦٠ هـ . في الوقت الذي ظهرت فيه قوة مذاهب الشيعة ، واتسعت دعوتها ضد العباسيين في البلاد النائية من الدولة الإسلامية ولا سيما المغرب الأقصى (١) .

غير أن رواية ابن أزبك لا تزال في حاجة إلى تمحيص ، إذ أنه لم يكن قد ظهر في بلاد المغرب لقب « السلطان » بين ألقاب الحكام ، ذلك اللقب الذي لم يظهر إلا في عهد المرابطين من أتباع يوسف بن تاشفين ، ثم بين الموحيدين من أنصار محمد بن تومرت ، في القرنين الخامس والسادس من الهجرة ؛ فضلاً عن أن الأسرة لم تدخل مدينة فاس إلا في القرن السادس كما روى حسن آخر أحمد إذ قال : « قدمنا على مدينة فاس ، وأقنابها سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، بزقاق الحجر » (٢) .

وإذا وازنا بين رواية ابن أزبك بعد تحقيقها وما رواه حسن آخر أحمد ظهر لنا أن الأسرة هبطت بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري ، ولكنها لم تدخل فاس إلا في القرن السادس .

(١) خرج ادريس من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب إلى المغرب في عهد أبي جعفر المنصور ، وأس هناك دولة الإدارة ، ومنذ ذلك الحين أخذ نفوذ الشيعة يزداد في بلاد المغرب على مر الزمن ، حتى ظهرت دولة الفاطميين في فاتحة القرن الرابع الهجري .

٣ - العودة الى الحجاز وأسبابها :

اضطربت الأحوال في بلاد المغرب منذ ظهور دعوة محمد بن تومرت الذى أنشأ دولة الموحدين ، وادعى أنه المهدي المنتظر في فاتحة القرن السادس الهجرى (١) ، وقد عمل خلفاؤه من بعده على نشر مذهبه ، وحاربوا المرابطين وهزموهم ، وطاردوا أتباعهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، وورثوهم في الملك والسلطان في أفريقيا والأندلس .

لهذا اضطرت أسرة البدوى إلى أن ترحل إلى بلاد أكثر أمناً وأرغد عيشاً من بلاد المغرب ، وبخاصة بعد أن زاد اضطهاد الموحدين لبقايا المرابطين الذين ظلوا على مبادئهم ورفضوا الخضوع للحكام الجدد ، طيلة النصف الأخير من القرن السادس الهجرى .

وما أن بدأ القرن السابع الهجرى ، حتى أعلن على بن ابراهيم ، رب الأسرة ، أنه رأى كما يرى التائب من يأمره بالرحيل إلى الحجاز (٢) ويقول له : « ارتحل من هذا المكان إلى مكة ، فإن لنا في ذلك شأنًا (٣) » . فأعلن رب الأسرة الرحيل ، رغبة في الحج إلى بيت الله الحرام ، وهو سبب ظاهرى

(١) الوفيات : ج ٢ ص ٣٧

(٢) يرى السيوط أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، ويفسر ذلك الشيخ ابراهيم الباجورى في حاشيته فيقول : (ووجه ذلك على ما قيل ، أن زمن الوحي ثلاث وعشرون سنة ، وأول ما ابتدئ* (صلعم) بالرؤيا الصالحة ، كان زمنها ستة أشهر ، ونسبة ذلك الى سائر المدة المذكورة ، جزء من ستة وأربعين جزءاً) . (راجع سعادة الدارين للنبيهاني ص ٤١١ - طبع بيروت ١٣١٦ هـ) .

(٣) النفحات : ص ٦٥

يُحْنِي وِراءَهُ الحَقِيقَةُ الَّتِي تَظْهَرُ فِي البَيْتَيْنِ الَّاتَيْنِ اللَّذَيْنِ أُنْشِدَهُمَا عَلَى وَالِدِ
الْبَدَوِيِّ يَوْمَ الرِّحِيلِ يَصِفُ فِيهِمَا الْحِجَازَ :

رَحَلْنَا إِلَى أَرْضِ يَفُوحِ شَذَاؤُهَا إِلَى عَرَبٍ مَالِي سِوَاهُنَّ مُدْتَحِرِ
رَحَلْنَا إِلَيْهَا نَسْتَظِلُ بِظِلِّهَا يَصِيرُ لَنَا فِيهَا مَقَامٌ وَمَصْدَرٌ (١)
وَيَتَّفِقُ الرِّوَاةُ كَالْمَقْرِيزِيِّ وَالشَّعْرَانِيِّ وَمُؤَلِّفِي دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى
أَنْ خَرُجَ الْأَسْرَةُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ كَانَ سَنَةَ ٦٠٣ هـ ، وَكَانَ وَصُولُهَا إِلَى مَكَّةَ
سَنَةَ ٦٠٧ هـ وَبِذَلِكَ تَسْكُونُ الرِّحْلَةُ قَدْ اسْتَعْرِقَتْ أَرْبَعَ سِنَوَاتٍ .

وَيَصِفُ الشَّعْرَانِيُّ هَذِهِ الرِّحْلَةَ عَلَى لِسَانِ حَسَنِ أَخِي أَحْمَدَ ، فَيَقُولُ :
« فَمَا زِلْنَا نَنْزِلُ عَلَى عَرَبٍ ، وَنَرْحَلُ عَنْ عَرَبٍ ، فَيَتَلَقَّوْنَا بِالترَّجِيبِ
وَالْإِكْرَامِ ، حَتَّى وَصَلْنَا مَكَّةَ الْمَشْرِقَةَ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ ؛ فَتَلَقَّانَا شَرْفَاءُ مَكَّةَ كُلِّهِمْ
وَأَكْرَمُونَا ، وَمَكَّنْتُنَا عِنْدَهُمْ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ (٢) . »
وَلَيْسَ وَقْتُ خُرُوجِ الْأَسْرَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ مَوْضِعُ خِلَافٍ ، وَلَسَكُنْ زَمَنُ
وَصُولِهَا إِلَى مَكَّةَ هُوَ مَحَلُّ الشَّكِّ ، إِذْ أَنَّ أَبَا السَّعُودِ الْوَاسِطِيَّ ، وَجَلَالَ الدِّينِ
السِّيَوطِيَّ ، يَخْتَلِفَانِ فِي ذَلِكَ :

فَيَرَى الْأَوَّلُ أَنَّ الْأَسْرَةَ اسْتَقَرَّتْ بِمِصْرَ خَمْسَ سِنَوَاتٍ . أَمَّا الثَّانِي
(السِّيَوطِي) ، وَهُوَ حُجَّةٌ فِي تَارِيخِ مِصْرَ فِي تِلْكَ الْعُصُورِ ، فَيَقُولُ : « وَحَسِبَ
الْبَدَوِيُّ سَنَةَ ٦٠٩ هـ مَعَ أَبِيهِ ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ مَاتَ أَبُوهُ (٣) . »
وَبِذَلِكَ يُؤَخِّرُ السِّيَوطِيُّ مَوْعِدَ وَصُولِ الْأَسْرَةِ إِلَى مَكَّةَ سَنَتَيْنِ ، وَقَدْ نَقَلَ
عَنْهُ الْخَفَاجِيُّ وَأَخَذَ بِرَأْيِهِ . لِأَنَّهُ مِنَ الرَّاجِحِ أَنَّ تَسْكُونَ الْأَسْرَةَ قَدْ مَرَّتْ

(٢) الطَّبَقَاتُ : ج ١ ص ٢٤٥ .

(١) النِّفَحَاتُ : ص ٦٥ .

(٣) حَسَنُ الْمَحَاضِرَةِ : ج ١ ص ٢٩٩ .

بمصر ، واستقرت ببعض جهاتها وقتاً ما . ويقدر ذلك في صراحة على مبارك باشا ؛ فيقول :

« ثم رحل بالبدوى أبوه على بن ابراهيم مع سائر أولاده وأهله سنة ٥٦٠٣ هـ يريد الحجاز للحج فر في طريقه بمصر ، وأقام معهم فيها مدة (١) ، . وقد تكون المدة التي قضتها أسرة البدوى بمصر سنتين ؛ وهي الفرق بين سنة ٥٦٠٧ هـ التي أشار إليها أكثر الرواة ، وبين سنة ٦٠٩ هـ التي انفرد بذكرها السيوطي .

٤ - تفكك الأسرة :

كان مرور أسرة البدوى بمصر في عهد الملك العادل سيف الدين ؛ أخى صلاح الدين الأيوبي ، (٥٩٧ - ٦١٥ هـ) (٢) . وبعد أن أقامت الأسرة سنتين بمصر ، واصلت سيرها إلى الحجاز ، وألقت عصا التسيار بمكة ، وظلت بها في أرغد عيش ، إلى أن تزوج حسن سنة ٦١٧ هـ . ثم تزوج محمد سنة ٦٢٦ هـ . وفي سنة ٦٢٧ هـ مات رب الأسرة على بن ابراهيم ، ودفن بالمعلاة (٣) بمكة . ثم مات محمد سنة ٦٣١ هـ ، ودفن بجانب والده . وبذلك تفككت أوصال هذه الأسرة ، وكان لتفككها أثر عميق في حياة البدوى ، أصغر أفرادها ، كما سنتينه في الفصل التالي . . .

(١) علم الدين : ج ١ ص ١٣٥

(٢) راجع ثبت حكام الايوبيين بمصر بآخر الكتاب

(٣) مقبرة مسكة .

الفصل الثالث

تربية البدوي

١ - تربيته بالمغرب :

استقرت أسرة البدوي بالحجاز ولما يتم ثلاثة عشر ربيعاً ، إذا جعلنا تاريخ وصول الأسرة إلى مكة سنة ٦٠٩ هـ . فهو إذاً في مقتبل العمر ، صالح لتقبل ما يلقي عليه من تعاليم ، درس بعضها عند ما كان ببلاد المغرب . حيث تربي تربية دينية على عادة أبناء الأشراف في ذلك العصر . حفظ القرآن ، وتعلم القراءات . وتفقه في الدين على مذهب الإمام مالك . ومال إلى الزهد منذ صغره ؛ حتى اشتهر بين قومه بالشيخ أحمد الزاهد .

ولما كان أخوه حسن من الصوفية ، فقد أعده ليكون مثله ، فأشرف على تعليمه وألبسه خرقة التصوف على يد الشيخ عبد الجليل النيسابوري بفاس .

٢ - تربيته بمكة :

ولما انتقل إلى مكة - كما أسلفنا - أنتم دراسته على مذهب الشافعي ، تلميذ مالك ، وظل شافعيًا حتى مات ، وقد ساعدته طبيعة بلاد الحجاز ، وما ظهر فيها من الميل إلى التصوف والزهد منذ عهد الفضيل بن

عياض (١) ، المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، على إشباع رغبته في التصوف ؛ فقال إلى العبادة والزهد . وكان يتعبد في جبل أبي قبيس قرب مكة ، كما أنه انصرف عن الزواج . ولعله سائر أحمد الرفاعي (٢) في ذلك ، فأخذنا نفسيهما بالحكمة العملية التي ترمى إلى التحرر من الألم والوهم . وذلك بالتجرد عن الشخصية الظاهرة الحادثة ، التي يخلقها في الإنسان التصديق بالجزئيات ، وذلك برياضات عديدة ، أدناها رياضات الفقراء ؛ وأرقاها التأمل والاستغراق (٣) .

وهذا ما دعا مؤلفي دائرة المعارف الإسلامية إلى تشبيه تصوف البدوى بتصوف فقراء الهنود ، ولا سيما فرق « اليوجا الهندية » (٤) .

وقد تسكون الرغبة عن الزواج عادة اجتماعية انتشرت بين الناس في تلك العصور ، نتيجة للانحلال الاجتماعي والاقتصادي الذي يقترن عادة بعصور التأخر والاضمحلال .

وقد امتاز القرن السابع الهجري ، الذي عاش فيه البدوى بأحداث تاريخية جسيمة كان لها أثرها العميق في النفوس ، كسقوط بغداد في أيدي التتار سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، وتعرض مصر لهجمات الصليبيين بصفة

(١) راجع جغرافيا الإسلام : ج ١ ص ٢٠٩ وضحي الإسلام : ج ٢ ص ٧٣

(٢) هو أبو العباس أحمد بن الرفاعي ، نسبة إلى بني رفاعية . من العرب ، سكن بقرية « أم عبيدة » بأرض البطائح ، جنوبي العراق ، وقد كان فقيها شافعي المذهب انضم إليه خلق كثير من الفقراء وأحسنوا الاعتقاد فيه وعرف أتباعه بالرفاعية والبطائحية ، توفي سنة ٥٧٠ هـ . (راجع وفيات الأعيان : ج ١ ص ٥٥ والطبقات : ج ١ ص ١٨٧)

(٣) مقتبسة من مقدمة (دروس في الفلسفة) .

(٤) المجلد الأول : ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

مباشرة ، طيلة حكم الأيوبيين ، وكذلك اضطربت أحوال المغرب والشام وغيرهما من أجزاء الدولة الإسلامية :

٣ - مآثر بمكة :

وبعد أن تفككت أسرة البدوى بمكة تغيرت أحواله ، فمال إلى العزلة ، والتعبد ، والصمت . وتصف دائرة المعارف الإسلامية ذلك فتقول (١) :
« ولا بد أنه حدث له حوالى سنة ٦٢٧ هـ (٢) ما غير مجرى حياته ، فقد قرأ القرآن بالأحرف السبعة ، ودرس قليلا من الفقه الشافعى ، وعكف على العبادة وامتنع عن الزواج واعتزل الناس وعاش فى صمت لا يفصح عما يحول فى نفسه إلا إشارة ، وأصبح فى حالة وله دائم (٣) . »

٤ - صفاته الجثمانية ودلائرها :

ولما كان البدوى قد نشأ نشأته الأولى بين القبائل العربية ببلاد المغرب ، من المرابطين الملتزمين ، فقد تأثر أحمد بكثير من عاداتهم ، كوضع اللثام على وجهه ، وميله إلى الشجاعة والجرأة ، وحبه المخاطرة والترحال ، وتحليه بكل ما من شأنه أن يكسبه الفتوة الحققة بين أنداده ، وبخاصة بعد أن استقرت

(١) المجلد الاول : ص ٤٦٥ . (٢) تلك هى السنة التى مات فيها أبوه .

(٣) الوله : فرط الوجد فى اصطلاح الصوفية .

أسرته بمكة ، فقد اشتهر بصفات جثمانية وألقاب صوفية لازمته ما عاش .
وكان لها أثرها في نشأته وتاريخه .

ويذكر الرواة صفات البدوى الجسمية بأساليب مختلفة ، ولسكنها متفقة
في تفاصيلها . وما نحن أولاء نورد هنا صورة موجزة لما روته عنها دائرة
المعارف الاسلامية (١) :

« كان البدوى ضخماً ، قوياً ، قمحى اللون ، أفتى الأنف ، عليه شامتان ،
ويظهر بوجهه أثر ثلاث حبات من الجدرى ، وندبة بين عينيه من طعنة موسى ،
واليكم صورة أخرى لهذه الصفات رواها الشعراني (٢) :

« كان غليظ الساقين ، طويل الذراعين ، كبير الوجه ، أحمل العينين ،
طويل القامة . قمحى اللون وكان في وجهه ثلاث نقط من أثر جدرى ؛ في
خده الأيمن واحدة . وفي الأيسر ثنتان . أفتى الأنف على أنفه شامتان في كل
ناحية شامة سوداء أصغر من العدسة . وكان بين عينيه جرح موسى . جرحه
ولد أخيه الحسين بالآبطح حين كان بمكة ،

وتدل هذه الصفات على أن البدوى من أصل عربى خالطته عناصر بربرية
من المغرب الأقصى . فبدت مظاهر هذا الاختلاط الجنسى في لونه . وملامح
وجهه . كما تدل على أنه لم يلجأ إلى الصيام والقيام . والتعبد ليل نهار إلا بعد
أن تم نموه وكل جسمه ، على الرغم من ميله إلى التصوف منذ نعومة أظفاره .
أما ألقاب السيد البدوى الصوفية فسنعالجها في موضوع خاص من هذا
البحث لما لها من عظيم الأهمية في تاريخه .

الفصل الرابع

رحلة البدوي إلى العراق

١ - العراق مركز للتصوف :

شغل البدوي بالتصوف في أثناء إقامته بمكة ، وزاد ميله إلى العبادة ، وتغيرت أحواله - كما مر بنا - بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) ، ثم أخيه محمد سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) .

ولقد شغل كذلك بتعاليم زعيمين من أشهر زعماء المتصوفة بالعراق في القرن السادس الهجري وهما : أحمد الرفاعي ، وعبد القادر الجيلاني (١) اللذان كانا موضع احترام الناس منذ عدة أجيال .

وقد بلغ شغف أحمد بهما وبتعاليمهما أنه رآهما كما يرى النائم غير مرة ، يدعوانه إلى زيارة العراق ، ويطلبان إليه أن يتزعم المتصوفة بين ظهرانيهما ، بعد أن أعد نفسه للاقطيية ، والزعامة الصوفية ، منذ هبطت أسرته أرض الحجاز .

(١) هو أبو صالح عبد القادر الجيلاني أو السكيتاني ، (نسبة إلى بلاد جيلان قرب بحر قزوين) وهو من نسل علي بن أبي طالب ولد سنة ٧٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٦١ هـ (١١٦٦ م) وتنسب إليه الطريقة القادرية بقفداد . وهو والرفاعي تلميذا الغزالي وكتاب (الفقيه) - أحد مراجع بحثنا - من أعظم ما كتب الجيلاني وهو ماخص (لاهياء) الغزالي . (راجع الطبقات : ج ١ ص ١٦٨ - ١٧٧ ومقدمة كتاب « الفقيه لطالبي الحق عز وجل »)

وقد عرض البدوي رؤاه على أخيه الأكبر ، حسن ، فأجابه بقوله :
« إني أخاف عليك يا أخى من بلاد العراق ، فإنها برزخ الاولياء ،
وبلاد الصالحين (١) » .

والحقيقة ؛ أن العراق - كما ينبغي التاريخ - كان مصدر كثير من الآراء
المختلفة . والمذاهب المتشعبة . وخاصة ما يتصل منها بالتشيع والنصراف .
أما التشيع فقد تأثر بتعاليم فلاسفة الفرس الأقدمين . وارتبط بنظرية
« الحق المقدس للملوك (٢) » ، تلك النظرية السياسية التي نشأت عنها فكرة
« ألوهية علي بن أبي طالب » ، وتقديس زعماء الشيعة ، كما تأثر بها مركز الخلفاء
« عباسيين في الحكم إلى حد كبير .

ولقد تطورت مبادئ الشيعة وعقائدهم تطوراً انتهى بظهور آراء
واتجاهات عظيمة الخطر في الاسلام ، فظهرت نظرية « المهدي المنتظر » ،
ونظرية « الوصاية أو الرجعية » للإمام ؛ وتناسخ الأرواح ، وغيرها من
النظريات التي انتقلت إلى الإسلام عن المذاهب الشرقية القديمة ؛ فكان
العراق مهد هذا التحول .

أما التصوف فقد تأثر - إلى حد ما - بآراء الاشراقيين وعقائدهم التي
ظهرت منذ فجر الدين المسيحي كالميل إلى الزهد ، والاعراض عن الدنيا ،
والبعد عن كل لذة بدنية ، وتحريم ملكية الأشياء ، والامتناع عن الزواج

(١) الجواهر : ص ٣٠ والفتوحات : ص ٢٣٩

(٢) كان فرعون مصر وأباطرة الروم وأكادمة الفرس يعتمدون في حكم شعوبهم على هذه
النظرية فكان لهم من التقديس والاحترام ما فهم إلى مصاف الآلهة في كثير من الاحيان
وقد تلاشت هذه النظرية . أو كادت . في العصر الحاضر بسبب سيادة الانظمة الديمقراطية .

إلى غير ذلك من المبادئ التي كان لها خطرهما وأثرهما في العقل الاسلامي في العصور المتأخرة (١) .

ولم يكن التصوف بمعزل عما طرأ على التشيع من نظريات واتجاهات ، بل تأثر بها إلى حد كبير ، فنظرية « القطب » عند المتصوفة هي بعينها نظرية المهدي ، عند الشيعة . وقد نسب الصوفية إلى القطب العلم والعصمة من الخطأ كما نسبهما الشيعة إلى الإمام .

كذلك عني المتصوفة بعلمى الظاهر والباطن ، والتأويل والتقية - كما كان يفعل الشيعة - أما ما كان يتصف به أئمة الشيعة من القدرة على الإخبار بالغيب ، والاطلاع على ما وراء الحجب ، فقد عبر عنه المتصوفة بالكرامات . وكذلك ساير المتصوفة الشيعيين في تقديس الأئمة ؛ فقد سوا الأولياء ، ونسبوا إليهم من القوة والقدرة ما مرده إلى الله وحده (٢) .

وقد بقيت آثار تلك المذاهب والأفكار على مر الأيام ، شاهدة بما كان لمذهبي الشيعة والمتصوفة من ازدهار بالعراق في العصور الاسلامية المتتابعة فلا تزال به قبور ومساجد كثيرة بعضها خاص بالشيعة من نسل علي بن أبي طالب ، وبعضها لفريق من المتصوفة ، الذين اشتهر أمرهم في عصور مختلفة كأبي الحسن البصري ، الذي سطع نجمه في البصرة ، واهتدى بهديه الكثيرون (٣) .

(١) راجع تفصيل ذلك في كتاب (السيادة العربية والشيعة والامراتياليات) لفان فلو تن :

ص ٦٨ - ١٠٦ — النسخة المعربة .

(٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب (ضحى الاسلام : ص ٢٠٨ - ٣١٥) .

(٣) راجع كتاب (دروس في الفلسفة) ص ٧٢ .

وعلى مقربة من البصرة لإقليم البطائح ، مقر الطريقة الرفاعية ، وفي بغداد عاش عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية . وفي شمال العراق سادت الطريقة العدوية بزعامة عدى بن مسافر (١) ، الهكاري الاموي .

٢ - وقت الرمض :

لذلك كان د حسن ، آخر أحمد محققاً عندما حذر أخاه ونهاه عن السفر إلى العراق . ولكن أحمد أصر على الترحل . فأشفق عليه أخوه ورافقه في بدء رحلته .

بدأ الأخوان رحلتهم في العاشر من المحرم سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م) . وانتهى بهما المطاف إلى بغداد في ربيع الأول من نفس السنة وكان ذلك في عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله ، الملقب بأبي جعفر المنصور (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ) وهو والد المستعصم ، آخر الخلفاء العباسيين ببغداد .

ويختلف الرواة اختلافاً يبنياً في تحديد موعد بدء هذه الرحلة . غير أنني أخذت هنا برأى الشيخ عبد الصمد باعتباره من أوائل الباحثين في تاريخ البدوي وقد أفرد لهذه الرحلة في كتابه « الجواهر » ، باباً خاصاً شمل موضوعها بأكمله . وأيده الخفاجي فيما ذهب إليه وقد رجع كلاهما إلى ما نقله ابن أزيك عن البدوي نفسه (٢)

(١) ليس من المبالغة أن نقرر أن أمثال هؤلاء الاقطاب الصوفيين لم تكن لهم أغراض سياسية ، والا كان علينا أن ننكر التصوف كلية .

(٢) الجواهر : ص ٣٠ وما بعدها والنفحات : ص ٢٣٨ وما بعدها .

٣ - الجہات التي سُمِّلَها الرموز :

وإذا أردنا أن نتبع الطريق الذي سلكه أحمد وأخوه حسن ، وجدنا أنهما نزلا ببغداد باديء ذي بدء . وزارا بها قبور الحلاج والجيلاني والرافعي ثم قصدا « الكاظمية » إحدى البلدان العراقية المقدسة التي يسميها ياقوت الحموي « مقابر قريش (١) » ، وبها إلى اليوم بقعة تسمى « صحن قريش » وتقع هذه البلدة الجميلة على نهر دجلة شمالى بغداد بقليل . وبها دفن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق المتوفى سنة ١٨٢ هـ . وقد نسبت إليه .

وفي سنة ٢٢٠ هـ دفن بها أيضاً محمد الجواد ، حفيد الكاظم ، ويكون القبران مشهداً عظيماً من مشاهد الكاظمية يقصد إليه الزائرون من أقصى المعمورة للتبرك (٢) .

وما لبث الأخوان أن غيرا وجهتهما إلى جنوبي العراق ، معرجين على وادي « قوسان » الذي يقع بين بلدة « كوت » على نهر دجلة وبين « بديره » (٣) على مقربة من نهاية هذا الوادي ، الذي يصنفه ياقوت بأنه بين « النعمانية » و « واسط » (الحى الآن) (٤) . وبهذا الوادي اليوم بلدة « جصان » وهي تحمل اسمه القديم مع تغيير يسمي في اللفظ (٥) .

(١) معجم البلدان : ج ٨ ص ١٠٧ (٢) موجز تاريخ البلدان العراقية : ص ٤٨

(٣) راجع خريطة البلدان العراقية لمعرفة الاسماء التي سرد ذكرها في اثناء الرحلة

(٤) معجم البلدان : ج ٧ ص ١٨٢

(٥) فقد قلبت القاف جيما على عادة بعض العرب في النطاق واستعملت الصاد بدل السين وهو أمر تجزئه اللفظة .

وفي هذا الوادي بين « بدره » و « حصان » قبر علي اليثربي بن موسى بن جعفر - كما يقال - ويسميه البدوي وأخوه « أبا الوفاء » ، وقد يكون هذا صحيحاً إذا علمنا أن المتخاصمين يلجأون إلى هذا الشيخ لتصفية ما بينهم من نزاع عند قبره . ويعتبر « اليثربي » من أشهر الأولياء والصالحين بتلك الجهة حتى الآن (١)

وأرجح أن يكون هذا الشيخ هو تاج العارفين أبو الوفاء ، الذي اشتهر أمره بين متصوفة العراق في أوائل القرن السادس الهجري ، وامتدحه الجيلاني وترجم له الشعراني (٢) .

ثم اتجه البدوي بعد ذلك بصحبة أخيه إلى « أم عبيدة » ، مركز الطريقة الرفاعية (٣) ، وهي إحدى قرى البطائح (٤) التي يصفها ابن خلسكان بأنها « قرية مجتمعة بين واسط والبصرة ، ولها شهرة بالعراق » (٥) في هذه البطائح أقام الأخوان أياماً بقرية (أم عبيدة) التي يرجح أن

(١) موجز تاريخ البلدان العراقية : ص ١٤٢ ، ١٤٣

(٢) الطبقات : ج ١ ص ١٧٩

(٣) الجواهر : ص ٣٣ والنفحات : ص ٢٤٥

(٤) البطائح لغة : جمع بطيحة ، وهي مجتمع سيب الماء وفي جنوب العراق اليوم بطائح كثيرة . يرجع سبب وجودها إلى فيضات دجلة والفرات عند اقترانها بشط العرب . والدور في تلك الجهات قائمة فوق جزر صغيرة وسط المياه ولما اجتمع خمسة منازل فوق جزيرة واحدة ولكل منزل زورق صغير يجول به صاحبه أتى شاء . ويقع الجزء الشرق من البطائح في لواء البصرة ، ويقع الجزء الغربى منها في لواء المفتق . (راجع خريطة البلدان العراقية وموجز تاريخ البلدان العراقية : ص ١١٧)

(٥) الوفيات : ج ١ ص ٥٥

مكانها الآن ناحية المدينة في قضاء القُرنه من لواء البصرة (١) .
وعند عودة البدوي وأخيه من البطائح إلى بغداد ، تركه أخوه واتجه إلى
مكة ، أما البدوي فقد واصل رحلته إلى شمال العراق ، حيث زار قبر عدى
ابن مسافر الهكاري ، (٢) المتوفى سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) ، وهو الآن في
بلدة « باعذرى » بلواء الموصل .

وعدى بن مسافر هو صاحب الطريقة العدوية ، وقبره الآن في وادٍ
جميل ، وعلى مقربة منه تقع بلدة (عين سفى) مقر سدنة هذا القبر .
وبالقرب من قبر عدى ، ناحية العشار السبع ، ومن بينها عشيرة (برى)
التي قد تنسب إليها (فاطمة بنت برى) ، ولها قصة مع البدوي ذكرها
بعض الرواة (٣) .

(١) تنقسم العراق اداريا الى اقسام رئيسية يعرف كل منها باسم لواء ، وفي كل لواء عدة
أقضية ، ولكل قضاء عدة نواح .

(٢) هو من أشهر أصحاب الجيلافي وقد انقطع الى جبل هكار من أعمال الموصل ، وبني له
هناك زاوية ، وتبعه خلق كثير . واجتمع حوله - فيما بعد - جماعة « البريدية » ولهم عقائد
غريبة ، فهم من أنصار نظرية السفيافي ، الذين يعتقدون أن يزيد بن معاوية الثاني
سيعود يوما ليلا الدنيا عدلا بعد أن ملئت جوراً ، كما يعتقد الشيعة في المهدي . (راجع
الوفيات : ج ١ ص ٣١٦ ، الطبقات : ج ١ ص ١٨٣ ، دائرة المعارف الاسلامية - المجلد
الاول : ص ٤٦٦ ، موجز تاريخ البلدان العراقية : ص ١٧١) .

(٣) تتلخص هذه القصة في أن البدوي رأى في منامه ، عند ما كان بأرض البطائح ، أن
الرفاعي بأمره بالسير الى فاطمة بنت بري ليردها عن اغراء المتصوفين وسلب أحوالهم بما
وهبها الله من فرط الجمال وعظم السلطان . فذهب اليها البدوي وكانت هي الاخرى قد
رأت في منامها أن شخصاً سيحضر اليها ليسلبها قوتها ، فأرصدت له في الطريق من تقابله
من بناتها اللائي اجتمعن حولها . وما كاد البدوي ينزل بارضها حتى بدا كأنه أصم —

٤ - نهاية الرحلة وأثرها في حياة البدوي :

وأخيراً عاد البدوي إلى الحجاز سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٨ م) - على الأرجح - وكان لهذه الرحلة أثرها في حياته ، فقد زاد عليه مظهر الولة ، وعظم ميله إلى العبادة والزهد ، وأكثر ما عرف عنه من زيادة الورع والتقوى كان بعد هذه الزيارة ، فقد مال إلى الصمت ، وكان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويكثر من قراءة القرآن الكريم .

ثم اتجه تفسكيره إلى الترحل إلى جهة أخرى يتخذها مقراً ومقاماً ، إذ كانت الرحلات جزءاً من برامج رجال العلم والدين ، ولعله رأى أن مصر - ككناة الله في أرضه - خير ممقر له ، لأنه كان قد مر بها في صباه ، واتخذ له فيها رفاقاً كان له معهم شأن أيما شأن .

= وأبكم ، فزاد ذلك في جزع بنت برى وأسرتها أن يرعى لها الابل فرطاً سنة أيام . وفي اليوم السابع ماتت الابل جيبها ، فهرعت بنت برى إلى مرعي الابل حيث دارت معركة بين أنصار البدوي وأعوان فاطمة ، كان النصر فيها حليف البدوي . فاستلمت بنت برى لاجد وطلبت منه أن ينفو عنها . فمقا عنها بشرط ألا تعود إلى التعرض للتصوفة بسوء . ثم رغبت فاطمة في الزواج من البدوي وليكنه رفض وعاد إلى مكة مقر أسرته . (راجع تفصيل هذه القصة في الجواهر . ص ٣٤ - ٣٦ ، والنفحات : ص ٢٤٥) .

الفصل الخامس

رحلة البدوي إلى مصر

١ - نصيب مصر مع مركبي التبضع والنصوف :

صارت مصر منذ دخول العرب إليها ، في القرن الأول الهجري ، مركزاً علمياً في الدولة الإسلامية - كما هي مركز سياسي - ولكن الحركة العلمية في بدهم عهدا ، لم تكن فلسفية ولا دنيوية ، بل كانت كل عنايتها موجهة إلى الدين ؛ الذي تأثر على مر الأيام بالثقافة اليونانية والرومانية ، التي كانت سائدة قبل الفتح العربي ، وقد أدى ذلك إلى أن اصطبغت هذه الثقافة القديمة بالتحاليم الإسلامية ، وُعدلت كما يتفق والإسلام (١) .

وكانت الشيعة والمتصوفة أكثر الفرق الإسلامية تأثراً بهذا الاختلاط في مصر - كما حدث بالعراق - وبخاصة في العصر الفاطمي ، إذ ما كاد ينتقل المعز لدين الله إلى قاهرته المعزية سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) ، حتى عني بنشر الدعوة الفاطمية عناية كبيرة ، تلك الدعوة القائمة على خطوات تسع ، أشبه بتاسوعات أفلاطون ، الفيلسوف المصري في العصر المسيحي (٢) . وقد شرح المقرئ

(١) فجر الإسلام : ج ١ ص ٢٣٣ .

(٢) حاش أفلاطون بين حق ٢٠٥ و ٢٧٠ م .

تفصيل خطوات الدعوة الفاطمية ، ونقلها عنه كثير من كتاب العصر الحاضر (١) وقد نظم الفاطميون شئون هذه الدعوة ، وجعلوا لها رئيساً عرف باسم « داعي الدعاة » ، وكان يلي قاضي القضاة في المرتبة ، ويتزي بزِيَّه ، ويشرف على إعداد الدعاة ، وتدريب الأولياء والأنصار ؛ الذين كان يوكل إليهم نشر الدعوة الفاطمية في أرجاء البلاد المصرية (٢) .

ومن أجل ذلك كان لا تنشر تلك الدعوة في مصر ، أكبر الأثر في نجاح نوع من التصوف السياسي ، حمل لواءه جماعة من دعاة الدولة الفاطمية وأنصارها بل من أوليائها ، كما يسميهم ابن خلدون عند إشارته إلى شيعة الفواطم وأتباعهم بمصر والمغرب (٣) . ولعل ذلك هو السر في كثرة الأولياء بمصر منذ العهد الفاطمي ، وهم - أصلاً - أنصار الدولة ودعاتها في البلاد (٤) .

ولما قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) انتفع بنفوذ هؤلاء الأولياء في نشر المذهب السني بدلاً من العقائد الشيعية ، ليقيم دولته على أساس وطيء ، ويحارب أعداءه بنفس الوسيلة مع اختلاف الغاية .

وقد بنى صلاح الدين لهؤلاء الأولياء الخوانق والرُّبُط (٥) ، والمدارس

(١) المواعظ والاعتبار : ج ٢ ص ٢٢٦ . (٢) صبح الاعشى : ج ٣ ص ٢٨٧ .

(٣) مقدمة ابن خلدون : ص ١٩ - ٢٠ . (٤) الولي لغة : من الولي . وهو القرب والدنو .

والولي أيضاً الحب والصديق والنصير . (القاموس المحيط : ج ٤ ص ٤٠١)

(٥) الخوانق : جمع خانق وهو الزقاق أو الطريق الضيق . والربط : جمع رباط وهو مكات

انتظار الصلاة بعد الصلاة . وفي ذلك يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) « فداكم الرباط » ويشبه

الخلوة المحقة بيفض المساجد الآت .

والزوايا ، ووقف عليها المال والغلال ، لتقوم برسالتها على أكمل وجه ،
ويصف ذلك القلقشندى فيقول :

« وأما الخوانق والرُّبط ، فما لم يعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية ،
وكان المبتكر لها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (١) ، » .

وبذلك انتشر التصوف السني بمصر ، واعتنقه كثير من الشيعة في عهد
الدولة الأيوبية ، وفي مقدمتهم السيد أحمد البدوي نفسه ، كما سيظهر لنا عند
الكلام عن درجته العلمية ، وقدرته الروحية .

إلا أن السيامية التي اتبعها صلاح الدين للتخلص من المذهب الشيعي
وأنصاره بمصر ، لم تقض القضاء التام على الشيعيين ، بل بقيت لهم « نقابة
الطالبيين (٢) » ، نسبة إلى علي بن أبي طالب وهي تلك الهيئة الرسمية التي أنشأها
خلفاء الفواطم خاصة للنظر في شئون العلويين والمنتسبين إلى آل البيت ، وقد
عرفت هذه النقابة في العصور الحديثة بنقابة الأشراف التي لا تزال قائمة إلى يومنا ،
ويعرف رئيسها باسم نقيب الأشراف ، وهو الآن السيد محمد علي البيلوي .
ولما انتقل الحكم إلى المماليك البحرية ، بعد سقوط الدولة الأيوبية ،
سارحكامهم على نهج الأيوبيين ، فأنشئوا المدارس لتدريس مختلف العلوم ،
والمذاهب الدينية والفلسفية ، وبخاصة التصوف ، الذي كثرة معتنقوه كثرة
استرعت الأبصار ، فقد مال الناس إلى العزلة والاعتكاف حتى لا يتعرضوا
لظلم الحكام وعسفهم ، وزاد نفوذ الأولياء بينهم عند ما انصرف السلاطين
إلى الحروب والمنازعات الداخلية والخارجية ، ولم تعد تربطهم بهذه الطبقات

(٢) الحاكم بأمر الله : ص ٢١٦

(١) صبح الاعشى : ج ٣ ص ٣٦٢

إلا روابط روحية ، تختلف قوة وضعفاً على حسب تقوى الحاكم وورعه
وقد ساعد ذلك على توثيق العلاقة بين أفراد الشعب والأولياء ، الذين صار
لهم في نفوسهم من المحبة والولاء ما ليس للملوك والأمراء .
وقد وصف هذه الحالة « عفيف الدين الياقبي » (١) أحد متصوفة مصر
في القرن الثامن الهجري ، فقال :

أخي نحن - والله - الملوك بفقرنا لنا الملك في الدارين والعز والغنى
نولى ونعزل والملوك جميعهم لنا خدام والذل يجزون والعنا .
ويدل ذلك بوضوح على مقدار ما طرأ من التحول على مركز الأولياء
بمصر في القرن السابع الهجري ، فقد انعدمت صبغتهم السياسية ، وظهرت
قواهم الروحية ، والتف حولهم الاتباع والانصار وعطف عليهم الملوك
والحكام عطفاً ظهرت آثاره في زيارتهم لهم والتبرك بهم ، فضلاً عن إنشاء
المدارس والمساجد والخوانق لاتباعهم ، وحبس الأوقاف عليها بسنخاء عظيم .
وقد أفاض المقرئ في وصف هذه المدارس والمساجد وأشار إلى منشئها
والأماكن التي انشئت فيها (٢) .

٢ - وقت الرموز :

وفي أثناء هذا التطور في تاريخ التصوف في الديار المصرية ، ولي البدوى
وجهه شطرها ونزل طنطا عاصمة إقليم الطنداوية (٣) في الرابع عشر من ربيع

(١) التصوف الاسلامي : ج ١ ص ٢٣٥ (٢) المواعظ والاعتبار : ج ٤ ص ١٣٦ وما بعدها

(٣) راجع خريطة النشأة التاريخية لمدينة طنطا بهذا الكتاب

الأول سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠ م) ، كما روى عبد الصمد والخفاجي ، نقلا عن المقرئ (١) ، وقد أخذ عنهم على مبارك (٢) والظواهري (٣) .
وكانت رحلة البدوي إلى طنطا (طنطا) نتيجة لرؤيا رآها في منامه ثلاث مرات أمر - في أثناءها - أن سر إلى طنطا ، فانك تقيم بها وترى رجلا وأبطلا (٤) .

ولهذه الرؤيا قيمة تاريخية عظيمة ، إذ أنه لا بد أن يكون البدوي قد مر بطنطا في أثناء رحلته من المغرب إلى الحجاز ، وشغف بها خياله ، فرددها عقله الباطن في عالم الأحلام طبقاً لمبادئ علم النفس الحديث .

على أن شهرة البدوي سبقتة إلى طنطا ، فقد بشر الشيخ سالم المغربي بحضوره إليها ، وبرغبته في الاستقرار بها ، ولعل البدوي قد اتصل ببعض مريديه ليهد له حياة هنيئة بطنطا فتسرب الخبر إلى الشيخ سالم فأنبأ به (٥)

وكان الجالس على عرش مصر في ذلك العهد الملك العادل ، ابن الكامل الأيوبي (العادل الثاني) . وهو شاب شغل عن شئون الملك بملاذبه وشهواته فعزل في ذى القعدة من السنة نفسها التي حل فيها البدوي بمصر (سنة ٦٣٧ هـ) وتولى بعده أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل (٦٢٧ - ٦٤٧ هـ) (٦)

(١) الجواهر : ص ٥ والنفحات ص ٥٢

(٢) الخطاط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٩ وعلم الدين : ج ١ ص ١٣٥

(٣) مذكرته عن « ذكرى تشريف الخديو عباس حلمي للجامع والمعهد الاحمدى » .

(٤) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٦ .

(٥) لا يزال قبر الشيخ سالم قائما الى الان قرب مسجد البدوي بطنطا .

(٦) راجع نبت حكام الايوبيين بآخر الكتاب .

٣- الاماكنه التي عاش بها البدوى في طنطا :

نزل البدوى بطنطنا (طنطا) ، وهى قرية قديمة عرفت قبل الفتح الاسلامى باسم « طنثا » ، ثم دحرف هذا الاسم بعد الفتح العربى فصار « طندتا » .
وفى القرن الخامس الهجرى عنى الفاطميون بها عناية كبيرة ، فاتخذوها عاصمة لأحد أقاليم مصر السفلى الاثني والعشرين التى قسمت إليها الدلتا فى عهد الخليفة المستنصر (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) ، وعرف لإقليمها باسم الطندتاوية .
ثم عرفت طندتا فى عهد المماليك البحرية باسم « طنت » ، وكانت لإحدى قرى الغربية ؛ إحدى أقاليم الدلتا الأحد عشر .

وفى عهد الحملة الفرنسية عرفت باسم (طنط) وكانت تابعة لإقليم المنوفية ثم اشتهرت باسم (طنطا) وعادت إلى إقليم الغربية فى عهد محمد على باشا ، وصارت عاصمة لأحد أقسام الغربية . وفى سنة ١٨٣٦ م صارت طنطا عاصمة لإقليم الغربية ، وكان عباس باشا حفيد محمد على الكبير ، أول مدير لها ، وقد أخذت المدينة فى الاتساع وعظمت أهميتها بعد أن مر بها الخط الحديدي بين القاهرة والاسكندرية (١)

ولقد عظم شأن طندتا (طنطا) بعد نزول البدوى بها ؛ فصارت مهبط المريدين والمتصوفة من أتباعه وأنصاره ، كما أفادت كثير آمن موالده وزائريه .
وأول دار نزل بها البدوى بطنطنا دار الشيخ ركن الدين (ركن) ، الذى كان يتجر فى العسل والزيت والحبوب فى خانات له بابان ، أحدهما خاص

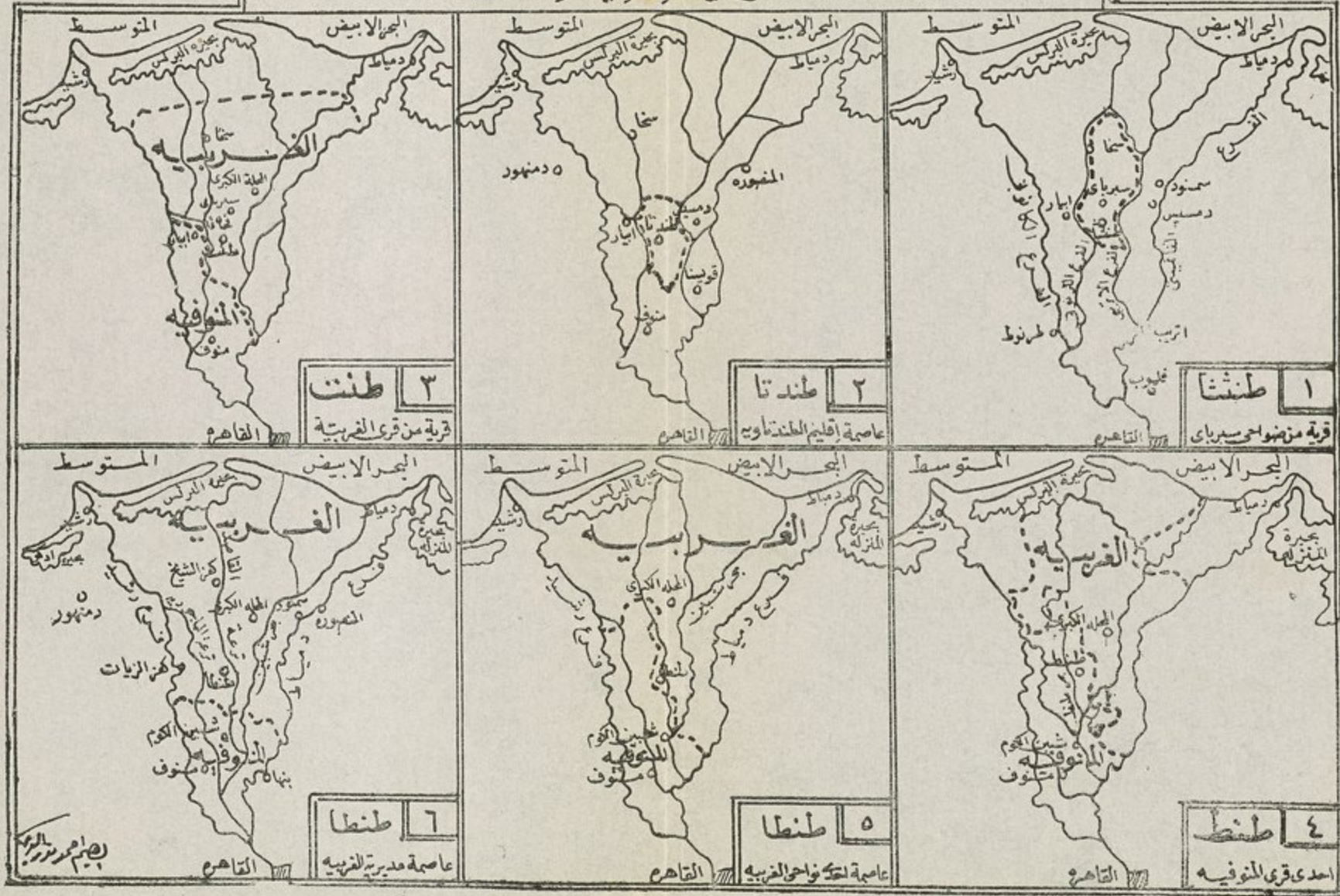
(١) راجع خريطة النشأة التاريخية لمدينة طنطا .

بالباع والآخر متصل بمنزله ؛ وقد قضى البدوى فى هذا المنزل نحو اثنتى عشرة سنة ، نال الشيخ ركن الدين فى أثنائها خير عميم .
وأول هذا الخير ، أن أشار البدوى على ركن بشراء قمح كثير ليبيعه للفقراء بثمان لا يرهقهم فى أثناء الغلاء الذى سيقع فى المستقبل القريب - وكان ذلك بعد نزول البدوى بمنزله بزمان يسير - فصدع ركن بالأمر ، واشترى القمح ، ورجح من بيعه رجحاً عظيماً ساعده على أداء فريضة الحج (١) .
ويصف المقرئى هذا الغلاء بين حوادث سنة ٦٣٩ هـ - أى بعد وصول البدوى إلى طنطا بسنتين - فيقول :

« غلت الأسعار بمصر ، وبيع القمح ، كل أردب بدينارين ونصف (٢) ، وإذا علمنا أن الدينار الواحد ، فى بعض أزمنة الرخاء فى تلك العصور ، كان يشتري به أكثر من أردبين أحياناً ، أدركنا أثر هذا الغلاء بين الناس وعرفنا مقدار ما أسداه البدوى وركين من حسن الصنيع للفقراء فى تلك الظروف العصيبة ، كما توضح لنا هذه العبارة أن حضور البدوى إلى طنطا كان حتماً قبيل سنة ٦٣٩ هـ بسنة أو بسنتين على الأكثر ، كما ذكرنا من قبل .
ولما مات الشيخ ركن الدين ، انتقل البدوى إلى دار أخرى مجاورة ، وهى دار ابن شحيط شيخ الناحية ، وكانت تقع فى سفح تل عالٍ ، وظل بها حتى مات ، ولأن البدوى عاش فى تلك الدار الأخيرة نحو ست وعشرين سنة ، فإن أكثر الرواة يشيرون إليها فى رواياتهم ، دون أن يذكروا شيئاً عن دار الشيخ ركن ، التى أشار إليها عبد الصمد والخفاجى ؛ وثبتت لنا حقيقتها بما

(١) الجواهر : ص ٢٦ ، النفحات : ص ٢٣٣ (٢) السلوك : ج ١ - قسم ٢ ص ٣٠٨

النشأة التاريخية لمدينة طنطا





مسجد البهی بطنطا، وهو المعروف
قدیمًا بمسجد رب البوصة،

رواه المقرئ عن حوادث الغلاء بمصر سنة ٦٣٩ هـ (١) .

وكان البدوي يتعبد في أثناء وجوده بطندتا بمسجد « البوصة » ، المعروف الآن باسم « مسجد البهي » (٢) ، وتدل حالته على أنه حتماً أقدم المساجد بطنطا لأنه بنى على ربوة ، ولأن مئذنته ذات أضلاع وعليها برج مغلق على نظام مئذنة جامع الحاكم بالقاهرة .

وكان لهذا المسجد شأن عظيم في تاريخ البدوي ، فقد سكن بالقرب منه وكان يتعبد به . ويحتفل فيه كل عام بافتتاح المولد الكبير وكذلك باختتامه ، فيصلى فيه خليفة البدوي صلاة الجمعة في آخر يوم من أيام ذلك المولد ، ويبدأ منه ركب الخليفة بعد الصلاة .

٤ - حياة البدوي بطندتا (طنطا) :

وقد اعتاد البدوي منذ نزل طندتا أن يجلس على سطح منزله ، على عادة سكان البطائح من الرفاعية بالعراق ، حيث كان يجلس شيخهم أحمد الرفاعي على السطح ليستمعه سكان القرى المجاورة إذا ماتكلم (٣) .

وقد تجلت حياة البدوي الصوفية بطندتا في أروع مظاهرها ؛ فكان يصوم

(١) الراجح أن دار الشيخ ركن الدين كانت على مقربة من مسجد البهي . أما دار ابن شحيط فهي على التحقيق في داخل المسجد الاحمدى الحالي .

(٢) يقع هذا المسجد الآن بالجهة الجنوبية الغربية لمسجد البدوي بالقرب منه . وقد عرف باسمه الحالي بعد أن دُفن به المغفور له الشيخ محمد أحمد يوسف البهي من أفاضل العلماء وذلك سنة ١٢٦٠ هـ . (٣) الطبقات : ج ١ ص ١٩٠

النهار ويقوم الليل عابداً مسبحاً بحمد الله ، لا يقصد بذلك إلا مرضاة وجه
ربه الأعلى ، ولسوف يرضى .

وكان إذا ظهر عليه الوآله صاح صياحاً عالياً ، وأخذ يبكي ويتطلع إلى
السماء حتى تحمر عيناه ، وتصف دائرة المعارف الإسلامية حال البدوى
بطندتا ، فتقول : « قد كان يصعد إلى سطح بيت معين ، ويرفع عينيه صوب
الشمس حتى تحمرا وتمرضا وتصبحا أشبه شيء بالجزيرتين ، وكان تارة يطول
صمته ، وتارة يتصل صراخه ، وكان يتمتع عن الزاد والشراب ما يقرب من
الأربعين يوماً (١) » .

ولذلك عرف أتباع البدوى الأوائل باسم « السطوحية » ، نسبة إلى سكنى
السطح ؛ ومن أشهرهم عبد العال وأخوه عبد المجيد الأنصارى وعبد الوهاب
الجوهري ، وقر الدولة ، وحسن الصائغ ، (٢) ومحمد الفران ، ويوسف
الامباني ، ومبارك المنوفى ، وعلى الزنكلونى ، وشعيب ، وكثير غيرهم ممن
عرفوا أيضاً باسم الأحمديّة ، نسبة إلى شيخهم وصاحب طريقتهم السيد
أحمد البدوى (٣) .

(١) المجلد الاول : ص ٤٦٦ . (٢) دفن عبد المجيد وعبد الوهاب وقر الدولة والصائغ على
ابعد مساوية تقريباً من مسجد البدوى بطنطا . دفن الاول فى فيشا سليم . والثانى
فى محلة مرحوم . والثالث فى تقيا . والرابع فى اخنا .

(٣) ورد بالجواهر ص ١٧ وما بعدها تفصيل لعدد كبير من السطوحية فليرجع اليه من شاء .

الفصل السادس

عصر البدوى

١ - البدوى ضرورة صادقة لمصره :

أقر مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية لأحمد البدوى ، أنه - باعتباره من المتصوفة والأولياء - قد تركت فيه شتى رغائب معاصريه وميولهم ، بل رغائب الذين سبقوه والذين جاءوا بعده أيضاً (١) .

ولاجدال في ذلك فأحمد من الصوفية القليلين الذين ذاع صيتهم ، واشتهر أمرهم في مصر خاصة ، والشرق عامة ، في القرن السابع الهجرى . وكانت طريقته الأحمدية من أعظم الطرق الصوفية انتشاراً بمصر ، وعرفت أخيراً باسم « المقامية الأحمدية » ، نسبة إلى مقام السيد البدوى .

وقد تفرعت من الأحمدية فرق وأحزاب تحمل أسماء مفشنيها من الأحمدية الأوائل ، كالشناوية ، نسبة إلى الشيخ الشناوى ، والشعيبية ، نسبة إلى الشيخ شعيب ، وما إلى ذلك من الطرق التى تشعبت عن الأحمدية ، وبلغ عددها نحو أربع عشرة طريقة (٢) .

(١) المجلد الاول : ص ٦٩

(٢) سنعود الى الكلام عن الطريقة الأحمدية مرة أخرى لاستكمال بحثها

٢- نصوف العلماء :

ولقد كان البدوي حقاً صورة صادقة لعصره ، فقد عاصره - كما سبق عصره - جمهرة من جهابذة الصوفية بنوعها ، النظرية والعملية في الشام والعراق ومصر وبلاد المغرب .

فعاش بالشام محي الدين بن عربي ، أحد فلاسفة الصوفية في القرن السابع الهجري ، وقد نشأ نشأة شديدة بتلك التي نشأها البدوي وغيره من متصوفة مصر في عصره ، فرحل من الغرب إلى الشرق حيث أكمل دراسته واشتهر أمره ، وقد زار مصر والحجاز والعراق ، على عادة علماء العصر ، واستقر أخيراً بدمشق حيث توفي سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤١ م) .

ويعتبر أحمد البدوي منذ أجيال قطباً ، فيما يعرف عادة بالقطابة ، وهي أعلى درجات الصوفية ، وذلك إلى جانب عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١ هـ ، والرفاعي المتوفى سنة ٥٧٠ هـ ، وهما من أشهر أقطاب الصوفية بالعراق في القرن السادس الهجري ، وقد تأثرا بتعاليم الغزالي الصوفية ، فيمثل الجيلاني صوفيته النظرية ، والرفاعي صوفيته العملية (١) .

وقد اشتهر بمصر في عصر البدوي كثير من المتصوفة الذين بلغوا درجته

(١) المقصود بالصوفية النظرية ، المجاهدة عن طريق البحث والعلم النظري ، أما الصوفية العملية فهي المجاهدة في سبيل إرضاء الله . وذلك بالصيام وطول التعبد والزهد في المأكول والملبس والمشرَب والبعد عن الناس والصمت في أغاب الاحيان .

أو كادوا كاني الحسن الشاذلي (١) ، شيخ الطريقة الشاذلية المتوفى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، وقد عاصره بالاسكندرية أبو القاسم القباري (٢) ، المتوفى سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٤ م) ، وأبو عبدالله الشاطبي (٣) ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) واشتهر بدسوق ابراهيم الدسوقي (٤) ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) .
وقد ظهر في هذا العصر أيضاً أبو داود مسلم السلمي (٥) ، شيخ الطريقة المسلمية ، المتوفى سنة ٦٦٦ هـ (١٢٦٨ م) . وكذلك عاش أبو العباس

(١) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي نسبة الى شاذلة (قرية بشمال أفريقيا) ، وكان ضريباً زاهداً ، اشتهر ببلاده ، وفضله وصحب الشيخ نجم الدين الاصفهاني وابن ميثيق وغيرهما وحج مرات . وكان يعيش بالاسكندرية حيث اشتهرت طريقته الشاذلية التي لا يزال أمرها معروفا الى اليوم ، وتوفي أبو الحسن وهو في طريقه الى الحج قرب القصير على البحر الاحمر حيث دفن سنة ٦٥٦ هـ . وقد ترجم له الشمراني في (طبقاته : ج ١ ص ٥ - ١٧) ، كما أشار اليه السيوطي في (حسن المحاضرة : ج ١ ص ٢٩٨) .

(٢) السلوك : ج ١ قسم ١ ص ٥٢٣

(٣) هو من أسرة أبي محمد القاسم الشاطبي ، أمام القراء ، وأصلهما من بلدة (شاطبة) بالاندلس وتوفي أبو محمد سنة ٥٩٠ هـ (راجع حسن المحاضرة : ج ١ ص ٢٩٩ والوفيات : ج ١ ص ٤٢٢)

(٤) هو ابراهيم بن ابي المجد بن قريش بن محمد بن أبي النجاء ويتصل نسبه ببلي بن أبي طالب تفقه على مذهب الشافعي ثم اقتفى آثار الصوفية واهتدى بهمدهم حتى علا قدره وجل أمره (راجع الطبقات : ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٤٥)

(٥) أخذ الشيخ مسلم طريقته عن الشيخ مروان أحد أصحاب الشيخ مرزوق ثم رحل الى القاهرة حيث عني به صاحب بهااء الدين بن حنا . (راجع السلوك : ج ١ ص ٥٧٢) .

المرسى (١) ، المتوفى سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٨ م) .
وقد عاشت الصوفية بمصر بعد البدوي ردحاً من الزمن ، وظهر أثرها في
كتابات من عاشوا بعده في القرن الثامن الهجري ، مثل ياقوت العرشي (٢)
المتوفى سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م) ، وابن عطاء الله الإسكندري (٣) ، المتوفى
سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) .

- (١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن علي الخزرجي الانصارى المرسى ويتصل
نسبه بسعد بن عبادة الانصارى سيد الخزرج . ولد أبو العباس في بسطة (مرسية)
بالاندلس سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) ونشأ بها ونسب اليها . ولما انتقل الي تونس استقر بها
واشتغل بالتدريس . ثم تعرف على الشيخ أبي الحسن الشاذلي وصحبه الى مصر سنة ٦١٢ هـ
ونزلاً بالاسكندرية . ثم انتقل وحده الى القاهرة وعاش بها بعض الوقت . وقد أدي فرضة
الحج وتصدر بحال العلم بالقاهرة والاسكندرية وكان خير وريث للشاذلي في علمه وطريقته .
مات بالاسكندرية ودفن بها سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٨ م) . وقد جدد مسجده وافتتحه جلالة
الملك فاروق الاول في مايو سنة ١٩٤٥ م . (راجع الطبقات : ج ٢ ص ١٧ - ٢٧ وما نشر
بمريدة المصري بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٩٤٥ بالعدد رقم ٢٩١٠)
- (٢) هو أحمد تلامذة أبي العباس المرسى ، ويقال انه من الحبشة ، وقد اتصل اسمه بتاريخ
البدوي في موضوع الشفاعة للشيخ شمس الدين الابان ، الذي خاض في حق الاحدية ،
فسمى ياقوت له عند البدوي حتى صفع عنه ، ثم زوجه ياقوت من ابنته بعد ذلك . (راجع
الطبقات : ج ٢ ص ٢٧ ، والجواهر : ص ٥٠) .
- (٣) كان من اهل العلم والحديث ، درس بالازهر وصحب ابا العباس المرسى وياقوت العرشي
وتعتبر حكمه دستوراً للصوفية . (راجع الطبقات : ج ٢ ص ٢٧ ، والتصوف الاسلامي :
ج ١ ص ١٣٦) .

٣ - نصوف الخطام :

ولم يكن التصوف في تلك العصور مقصوراً على طبقة العلماء ومن حولهم من أفراد الشعب ، بل ظهر أثره أيضاً بين طبقات الحكام والسلاطين ، فقد كان نور الدين محمود بن زنكي ، سلطان السلاجقة بالعراق (١) ، يترسم خطي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في حذبه على المسلمين ، وصرفه أموالهم في إعداد الجند وبناء الحصون لمقاومة نفوذ الصليبيين في الشرق بعد نجاحهم في الحرب الصليبية الأولى (١٠٧٩ - ١٠٩٩ م) .

ولم يختص نور الدين محمود نفسه إلا بالقليل من المال ، مما دعا زوجته إلى أن تشكو إليه ما هي فيه من فقر وتقير ، فأجابها - كما روى لينبول - بقوله : « ليس لدى أكثر مما عندى لأن كل ما تحت يدي إنما هو في ذمتي للناس فحسب (٢) » .

وكذلك كان صلاح الدين الأيوبي ، مؤسس الدولة الأيوبية بمصر ، وخليفة السلاجقة في ملكهم وفي زعامة المسلمين ، متصوفاً زاهداً ، مجاهداً في سبيل الله ، عاملاً على نصرة دينه ، وقد عاش فقيراً ومات فقيراً .

وقد أفاض ابن خلكان ، وابن شداد ، ولينبول في وصف شمائل صلاح الدين ومظاهر حبه للشعب ، وإيمانه بالتضحية في سبيل نصرة الإسلام

(١) ظهر نفوذ السلاجقة في أواخر حكم الدولة العباسية بين سنتي ٤٤٧ و ٥٧٥ هـ (١٠٥٥ - ١١٨٠ م)

وكانوا من الانراك المسلمين المتعصبين للسنة

(٢) صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس : ص ٢٣٢

ودليل ذلك اشتراكه بنفسه في حمل الأحجار لتحسين بيت المقدس ، وعدم وجود المال الكافي لتجهيزه ودفنه عند ما مات سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) (١) . ولم تقف الرغبة في التصوف عند شخص صلاح الدين ؛ بل تعدته إلى الديار المصرية وأهلها ، فقد أنشئت المدارس لتعليم المذهب السني ، وبُنيت الخوانق والربط للمتصوفة ، حتى يسهل إعداد الأذهان وطبع العقول بطابع أهل السنة ، ويُقضى على مظاهر الحكم الفاطمي الشيعي .

ثم سار خلفاء صلاح الدين من بعده على منواله ، فصارت مصر في عهد الأيوبيين قبة الأنظار ومهبط الزوار ، ومحط رجال العلماء الأبرار (٢) .

وسار السلطان ركن الدنيا والدين الظاهر بيبرس البندقداري ، المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية والمعاصر للبدوي ؛ سيرة الأيوبيين في نزعتهم الصوفية وعطفهم على الفقراء والمساكين ؛ كما كان يعتقد في الأولياء ويخرج لزيارتهم بنفسه ، وكان يتداوى بالصدقة ، وقد روى المقرئ أنه في أواخر شوال سنة ٦٦٣ هـ نزل بالسلطان وعك فتداوى بالصدقة وأعطى الفقراء مالا جزيلا (٣) . وروى كذلك أنه حدث في عهده غلاء شديد بمصر ، وعدمت الغلة ، فجمع السلطان الفقراء وعدهم وأخذ لنفسه خمسمائة فقير يموتهم ولابنه « السعيد بركة خان » خمسمائة فقير ، والنائب « بيلبك » الخازن دار

(١) صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس : ص ٣٦٦

(٢) يصف ذلك بإسهاب كل من المقرئ في (السلوك : ج ١ ، والقلشندي في صبح

الاعشى : ج ٣) .

(٣) السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٥٣٨

ثلاثمائة فقير ، و فرق الباقي على سائر الأمراء ، ورسم لكل إنسان في اليوم برطل خبز ، فلم يَر بعد ذلك في البلد أحد من الفقراء يسأل (١) .

وكذلك كان الحال في بلاد المغرب في عهد ملوك المرابطين والموحدين صورة لما كان في المشرق من الميل إلى التصوف ، والزهد في الحياة بوجه عام .

ويصف ذلك ابن خلدون في تاريخه فيقول :

« كان لهم شأن في الاهتمام بالعلم والجهاد ؛ وتشديد المدارس ، واختطاط الزوايا والربط ، وسد الثغور ، وبذل النفوس في ذات الله ، وإنفاق الأموال في سبيل الخيرات ، ثم مخالطة أهل العلم وترفع مكانهم في مجالسهم ، ومفاوضتهم في الاقتداء بالشريعة ، والانقياد لإشارتهم في الوقائع والأحكام ومطالعة سير الأنبياء ، وأخبار الأولياء ، وقراءتها بين أيديهم في دواوين ملكهم ، ومجالس أحكامهم ، وقصور عزمهم . »

ثم يستطرد ابن خلدون في هذا الوصف فيقول :

« وأما وقوع الخرق فيهم ، وظهور الكاملين من النوع الإنساني من أشخاصهم ، فقد كان فيهم من الأولياء المحدثين أهل النفوس القدسية ، والعلوم الموهوبة ، ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة والسكهان ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجيل وكرامته لهم ، وبما آتاهم من جماع الخير ، وآثرهم به من مذاهب الكمال (٢) . »

(١) المواعظ والاعتبار : ج ٤ ، ص ٩٦

(٢) العبر ودبوان المبتدأ والخبر : ج ٦ ، ص ١٠٥

الفصل السابع

حياة البدوي العلمية

١ - درجته البدوي العلمية :

يرى بعض الكتاب - وفي مقدمتهم مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية - أن شخصية البدوي ضئيلة القدر من الوجهتين العقلية والأدبية (١) ، إلا أن هذا القول مبالغ فيه ، فالبدوي - على الرغم من أنه لم يكن من أعلام الشعر والأدب ، أو عظماء المؤرخين والكتاب - كان من فلاسفة التصوف الإسلامي في عصر الانحلال والتراجع لهذه الفلسفة إجمالاً ، ذلك أن القرنين الخامس والسادس للهجرة قد امتازا بفلسفة صوفية مبسطة ، أساسها الكتاب والسنة في أضيق الحدود ، ومن غير تعمق أو تأويل .

ومثلها في ذلك مثل العصر الأول لهذه الفلسفة ، وهو دور « النشأة » في تاريخها ، حيث كان « الحسن البصري » يدعو الناس بالبصرة إلى عبادة الله في وضوح وجلاء ، رائده في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ، على طريقة العرب في البادية ، إذ لم تسكن الثقافة الإسلامية قد اختلطت بعد بنظريات متصوفة الفرس والهنود ، وغيرهم من أهل الثقافات القديمة (٢) .

(١) المجلد الأول : ص ٤٦٧ (٢) دروس في الفلسفة : ص ٧١ وما بعدها .

ولما نشطت حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي ، وخاصة في عصر المأمون ، كان لهذه الحركة الناجحة آثار بعيدة المدى في العقلية الإسلامية والثقافة الدينية ، ولا سيما التصوف الإسلامي الذي أصبح عقيدة دينية ومذهباً فلسفياً خطيراً ، فكثرت أتباعه وأنصاره ، وعلا نجمه ، ورفع لواءه بعض الفلاسفة في هذا الدور ، دور السكال ، كالحسين الحلاج^(١) الزاهد المشهور ، وكبير فلاسفة التصوف بالعراق في أوج عظمته ، وقد قتل في عهد المقتدر ، الخليفة العباسي ، بعد أن أفتى قضاة بغداد بكفره وإلحاده في سنة ٥٣٠ هـ .

وقد كان ما حدث للحلاج وأضرابه من القتل والاضطهاد أصدق مثلاً للتضييق في سبيل العقيدة ، وأكبر دليل على تطور نظريات التصوف بتطور الأفكار ، ونشاط للترجمة والتأليف منذ عصر المأمون ، فضلاً عن أن هذا النشاط الفكري لم يقتصر على التصوف ، بل اتصل بأصول الدين الإسلامي ومظاهر السكون ، وحقيقة القرآن والإيمان ، وغير ذلك مما كان مثار جدل عنيف بين المعتزلة والأشاعرة والمتصوفة والمرجئة .

وكان أثر هذه المذاهب في سياسة الدولة عظيماً كذلك ، إذ كان الخلفاء يتناصرون أصحابهم في المذهب ، ويضطهدون غيرهم من أصحاب المذاهب

(١) هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور ، وهو من أهل « البيضاء » - بلبقارس - عاش بالعراق ، وصاحب « الجنيد » ، وقُتل سنة ٣٠٩ هـ لانتقامه بالاحماد لانه تعمق في أبحاثه الصوفية ، وكان من أنصار نظرية « وحدة الوجود » (راجع الوفيات : ج ١ ص ١٤٦ و ١٤٧ ، والتصوف الإسلامي : ج ١ ص ١٩٢ - ٢١١) .

الأخرى ، بل إن فداء الأسرى في الحروب كان يفضل فيه من هم من مذهب الحكومة .

إلا أن العقول والأفكار ما لبثت أن سمت هذه الحال الشاذة ورأت أن خير وسيلة لاطمئنان النفوس وأمن القلوب ، العودة إلى البساطة الأولى والتفكير المحدود فيما أنزل الله في محكم كتابه ، وما اتبعه الرسول الكريم من سنة حنيفة سمحة .

وقد ساعد على ذلك ظهور نفوذ السلاجقة في بغداد ، واستمرار حكمهم بين سنتي ٤٤٧ و ٥٧٥ هـ ، وهم من المتعصبين للسنة ، وقد تولوا الحكم بعد زوال دولة بني بويه من غلاة الشيعة .

وقد سار على منوالهم صلاح الدين الأيوبي في مصر ، حيث قامت دولته على أنقاض دولة شيعية أخرى ، هي الدولة الفاطمية .

وبذلك عاد التفكير في التصوف في هذا الدور الأخير ، دور التراجع ، إلى أسس الكتاب والسنة ، ولم يقبل منه إلا ما دار حول الزهد والتشف ، وتربية النفس وإصلاح شأنها .

وقد أيد المتصوفة في هذا الرأي ، حجة الإسلام ، الإمام الغزالي (١)

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي الشافعي ، أكبر أئمة الشافعية في أواخر عصره ، بدأ حياته بطوس ثم انتقل إلى نيسابور ثم خرج إلى العسكر ببغداد ، واشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية التي أنشأها « نظام الملك » وزير الملك شاه السلجوقي سنة ٤٨٤ هـ . وفي سنة ٤٨٨ هـ ترك الغزالي التدريس وسلك طريق الزهد والاعتقاد ، ثم حج البيت الحرام ، ثم توجه إلى الشام وأقام بدمشق مدة ، ثم خرج إلى الإسكندرية حيث أقام مدة من الزمن . ثم عاد إلى وطنه طوس بفارس وتوفي بالطايران سنة ٥٠٥ هـ (راجع الوفيات : ج ١ ص ٤٦٣ - ٤٦٤ ودروس في الفلسفة : ص ٧٥)

المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) ، فلم ينسكركم التصوف من أساسه ، بل قرر في كتابه « إحياء علوم الدين » أن هناك عالمين : عالم الظاهر ، وعالم الباطن ، وإذا كانت الحواس وسيلة إدراك العالم المادى الظاهر ، فإن الفيض والالهام طريقة الوقوف على العالم الثانى ، عالم الروح الخفى ، ولا يتم هذا الفيض والالهام باتحاد أو حلول ، بل هو ضرب من الكشف الروحى يحدث فى النوم أو فى حال اليقظة لكل من أعرضوا عن الدنيا وملاذها ، وتحلوا بأسمى الفضائل (١) ويصف أحمد الرفاعى هذا الكشف الروحى فيقول :

« الكشف قوة جاذبة بخاصيتها نور عين البصيرة إلى فيض الغيب ، فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها ، ثم يتقاذف نوره منعكساً بضوئه على صفاء القلب ؛ ثم يترقى ساطعاً إلى عالم العقل فيتصل به اتصالاً معنوياً له أثر فى استفاضة نور العقل على ساحة القلب ، فيشرق نور العقل على إنسان عين السر ، فيرى ما خفى عن الأبصار موضعه ، ودق عن الأفهام تصوره ، واستتر عن الأغيار مرآه (٢) . »

ومن هنا انقسم المتصوفة شعبتين : معتدلين ، ومتطرفين ، أما المعتدلون فهم فلاسفة سنيون يدينون بنظرية الفيض والالهام ، ويعملون فى حدود الكتاب والسنة ، فهم بذلك صوفية عمليون ، ويسمى ابن تيمية « صوفية الحقائق » الذين اجتمعوا على الحق تعالى فى صفاء فاستغرقهم هذا الاجتماع إلى الأبد (٣) . »

(١) دروس فى الفلسفة : ص ٧٥ . (٢) الطبقات : ج ١ ص ١٨٧ .

(٣) رسالة الصوفية والفقراء : ص ٢١ .

أما المتطرفون فهم أنصار العلاج في حله ، والبسطامي (١) في اتحاده ،
وهم مبتدعون خضعوا لحكم العقل إلى أبعد مدى ، فكانوا صوفية نظريين
يتخذون التصوف كذهب من المذاهب الكلامية النظرية دون الرجوع إلى
الحقائق المتصلة بالكتاب والسنة .

وقد اتصل أكثرهم بالسياسة ، وكان لهم أثر كبير في قيام الدولة الفاطمية
ودولة القرامطة ، والموحدين ؛ وغيرهم ممن امتلأت بأخبارهم كتب التاريخ
والفلسفة ، وهؤلاء في نظر ابن تيمية هم « صوفية الارزاق » .

وما أن بدأ القرن السادس الهجري حتى ظهرت بوادر النصر للشعبة
الأولى ، شعبة المعتدلين من أنصار الكتاب والسنة ، وأخذ نفوذ التصوف
السني يفوق نفوذ التصوف الفلسفي .

وكان من أنصار التصوف السني في هذه الفترة : الجيلاني والرفاعي اللذان
أخذنا عن الغزالي آراءه في التصوف ، وكان لطريقتيهما (القادرية والرفاعية)
شأن يذكر في العصور التالية (٢) .

ولم يقف أثر الغزالي عند القرن السادس الهجري ، بل سار متصوفة
القرن السابع على منواله ونهجوا سبيله ، مسترشدين بتلميذه : الجيلاني
والرفاعي ، فصارت لهم السيادة التامة في عصورهم ، ومنهم زعيم متصوفة مصر
وأكبر أوليائها في القرن السابع الهجري ، وهو السيد أحمد البدوي المترجم له .

(١) هو أبو يزيد طيفور البسطامي ، نسبة إلى بسطام بخراسان ، كان جده مجوسياً ثم أسلم ،
وقد عاصر العلاج ، وتوفي سنة ٢٦١ هـ (راجع الوفيات : ج ١ ص ٢٤٠ ، والطبقات : ج ١
ص ١٠٠ ودروس في الفلسفة : ص ٧٣) .

(٢) دروس في الفلسفة : ص ٧٥ .

وهو - كما ترى - من شعبة الصوفيين السنيين المعتدلين الذين كانوا يرون - كما رأى الغزالي - أن التصوف - قبل كل شيء - دراسة للسلوك ، ورسم للسيرة الفاضلة ، فلا حاجة به إلى نظريات فلسفية دقيقة ، ولا إلى إبحاث نفسية عميقة ، وكل ما يعتمد عليه إنما هو الطاعة والتقرب إلى الله ، والزهد والاعراض عن الدنيا ، وقد يصل الطائع بعبادته إلى ما لا يصل إليه العالم بعلمه من رضا الله ومحبه (١) .

٢ - مبادئ البدوي وآراؤه :

لقد جاءت مبادئ البدوي وآراؤه دليلاً واضحاً على قدرته العلمية التي أشرت إليها فيما سبق ، ذلك أنه كان يعتمد في طريقته على الكتاب والسنة ، والخلق الفاضل كما سيظهر لنا من شرح طريقته .

وتتفق مبادئ البدوي وآراؤه مع الآراء الأساسية للزهاد المسلمين في جميع عصورهم ، غير أنه لم يكن ممن يدينون بنظرية (وحدة الوجود) ، التي اشتهرت بين المتصوفة زمناً طويلاً ، فلم يؤمن بالحلول الحلاجي ، أو الانحداد البسطامي ، بل كان يفرق بين الخالق (عز وجل) ، وبين مخلوقاته ومصنوعاته . ويوضح ذلك في قوله لعبد العال (المتعال) - أول خلفائه - عند ما سأله عن معنى « التفكير » : « تفكر في خلق الله وفي مصنوعات الله ، ولا تفكر في ذات الله (٢) » . ويتطابق هذا التفسير قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : « فكروا

في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا .

وللبدوى آراء واضحة فيما تسكلم عنه المتصوفة ، كبيان الفرق بين الفقير والصوفي ، الأمر الذي تضاربت فيه آراء المتصوفة ، وكان البدوى يميل إلى تفضيل لفظ الفقير ، وقد ذكر شروطاً خاصة رواها لعبد العال ، وكلها تنصل بالعبادة والزهد والقناعة ، وغيرها من صفات المتصوفة ، ويرى الشيخ عبد الصمد هذه الشروط عن البدوى مخاطباً عبد العال فيقول (١) :

للفقيراء اثنتا عشرة علامة - رواية عن علي بن أبي طالب - وهي :
أن يسكنون الفقير عالماً بالله تعالى ، مراعيّاً لأوامره ، متمسكاً بسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، دائماً على الطهارة ، راضياً عن الله تعالى في كل حال ، موقناً بما عند الله ، آيساً بما في أيدي الناس ، متحملاً للأذى ، مبادراً لأمر الله ، شفيقاً على الناس ، متواضعاً لهم ، عالماً أن الشيطان ، عدوه كما أخبر الله تعالى بقوله : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » (٢) .

ويطابق رأى البدوى في تفضيل لفظ (الفقير) رأى أكثرية متصوفة عصره ، فيقول ابن تيمية في هذا الصدد : « وأكثر الناس قد رجحوا الفقر ، ويعلل ذلك فيقول : « لما كان جنس الزهد في الفقر أغلب ، صار الفقر في اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد ، وهو من جنس التصوف ، فاذا قيل هذا فيه فقر ، أو ما فيه فقر ، لم يرد به عدم المال ، ولكن يراد به ما يراد باسم الصوفي من المعارف والأحوال ، والأخلاق والآداب ، ونحو

(١) الجواهر : ص ٥٦ (٢) القرآن الكريم : سورة فاطر - الآية ٦

ذلك . وعلى هذا الاصطلاح قد تنازعوا في تفضيل الفقير أو الصوفي ، فذهبت طائفة إلى ترجيح الصوفي ، كأبي حفص السهروردي ونحوه ، وذهبت طوائف كثيرة إلى ترجيح الفقير (١) .

ويقول مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية : « إن الاسم الشائع للمتصوفة هو الفقراء (٢) » .

وللبدوي أيضاً آراؤه الخاصة في تفسير بعض الألفاظ والمصطلحات الصوفية تتفق مع آراء الغزالي والجيسلاني وابن عربي إلى حد بعيد ، فقد كان يرى (٣) :

« أن التوبة النصوح : هي التداومة على ما مضى من الذنب ، والإقلاع عن المعصية ، والاستغفار باللسان ، والعزم على ألا يعود الإنسان إلى المعصية ، والصفاء بالقلب . فهذه هي التوبة النصوح التي أمر الله بها ، وذكرها في كتابه العزيز فقال : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا (٤) » .

الذكر : ويكون بالقلب لا باللسان فقط ، فإن الذكر باللسان دون القلب شقشقة . ويوضح ذلك لعبد العال فيقول : « أذكر الله بقلب حاضر ، وإياك والغفلة عن الله فانها تورث القسوة في القلب » .

الوجد : وهو أقصى ثمار الذكر ويحصل على الوجه التالي :

« في حالة الاتصال بالله ، يفيض نور إلهي على قلب العابد يقشعر له بدنه ،

(١) رسالة الصوفية والفقراء : ص ٢٥ (٢) المجلد الأول : ص ٦٨

(٣) راجع الجواهر : ص ٥٦ و ٥٧ (٤) القرآن الكريم : سورة التحريم . الآية ٨

فيعرّوه الوجد حينئذ ، ويتعلق بالله التعلق كله (١) . وعندما يزيد الوجد يصير
« ولها » ، وهو إفراط الوجد ، ودرجة عليا في التسامي الروحي .
الصبر : وهو الرضا بحكم الله ، والتسليم لأمره ، وأن يفرح الإنسان بالمصيبة
كما يفرح بالنعمة - قال تعالى : « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا
إنا لله وإنا إليه راجعون (٢) » .

الزهد : هو مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية ، وأن يترك الإنسان
سبعين باباً من الحلال مخافة أن يقع في الحرام .
الإيمان : وهو أتم شيء ، وأكثر الناس إيماناً أنفاهم ، وكلما أحسنت
أخلاق المرید (٣) زاد إيمانه . ويقول البدوي : « إن أحسنكم خلقاً أكثركم
إيماناً بالله (٤) » .

٣ - الطريقة الصحرية :

وقد انتشرت مبادئ البدوي وآراؤه على أيدي « الصطوحية (٥) » ، أتباعه
الأوائل ، وتلاميذه الذين سارعوا إلى نصرته واعتناق مذهبها في التصوف
منذ هبط طنطنا (طنطا) .

(١) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الأول . ص ٦٧

(٢) القرآن الكريم : سورة البقرة . الآيات ١٥٥ و ١٥٦

(٣) المرید هو المتجرد عن إرادته ، الراغب في ترسم خطى المتصوفة .

(٤) الجواهر : ص ٥٥ (٥) سوا كذلك جلوسهم على السطح .

ولما كثرت أتباع البدوى انتشروا فى أرض مصر تحت زعامة السطوحية ، وعرفوا بالاحمدية ، وكانوا يعدون بالآلاف ، ويمثلون طائفة من طوائف المجتمع المصرى فى عهد المماليك والعصر العثمانى ، وكانت ألقاظهم وتعاييرهم الصوفية مصرية بحتة ، وذلك لأن الاحمدية طال عهدهم بصحبة الفقهاء فى وادى النيل (١) .

وقد قامت الطريقة الاحمدية طبقاً لمبادئ القرآن ، وتعاليم السنة . ويصف البدوى ذلك لعبد العال فيقول : « هذه طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة ، والصدق والصفاء ، وحسن الوفاء ، وحمل الأذى ، وحفظ العهود (٢) » . وكانت الرابطة بين البدوى ومريديه قائمة على عهد صوفى خلقى اجتماعى يقطعه المريد على نفسه إذا أراد الانتظام فى سلك الطريقة الاحمدية . وتتلخص نصوص هذا العهد فيما ذكره البدوى لعبد العال من وصايا ييسر على هديها المريدون والأتباع ، ومنها (٣) :

يا عبد العال ، إياك وحب الدنيا ، فإنه يفسد العمل الصالح ، واعلم بأن الله قال فى كتابه « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (٤) » .
يا عبد العال ، أشفق على اليتيم ، واكس العريان ، وأطعم الجوعان ، وأكرم الغريب والضيفان ، عسى أن تسكون عند الله من المقبولين .
يا عبد العال ، عليك بكثرة الذكر ، وإياك أن تسكون من الغافلين

(١) التصوف الاسلامي : ج ١ ص ٧٩ (٢) الجواهر : ص ٥٦

(٣) الجواهر : ص ٥٥ و ٥٦ (٤) القرآن الكريم : سورة النحل . الآية ١٢٨

عن الله ، واعلم أن كل ركعة بالليل أفضل من ألف ركعة بالنهار .
يا عبد العال ، أوصيك ألا تشمت بمصيبة أحد من خلق الله ، ولا تنطق
بغيبة ولا نعمة ، ولا تؤذ من يؤذك ، واعف عن ظلمك ، وأحسن إلى من
أساء إليك ، وأعط من حرمك (١) .

وكان البدوى يتبع في تعليم تلاميذه ومريديه طريقة ديمقراطية واضحة .
تتفق مع مبادئ الإسلام الحنيف ، من حيث الإخلاص في التدريس ،
وتغذية الجسم تغذية روحية لها أثرها في سلوك المريد وأعماله ، ولا جدال في
ذلك ، فالدين الإسلامى نظام اجتماعى دقيق قبل كل شئ .

وتظهر تلك الطريقة في إحدى وصايا البدوى الشهيرة لعبد العال ،
ففيها يقول (٢) :

« إن الفقراء كالزيتون ، فيهم الكبير والصغير ، ومن لم يكن فيه زيت ،
فأنا زيت ، يعنى من كان صادقا في فقره ، صافيا كالزيت الصافى ، عاملا
بالكتاب والسنة فأنا مساعده في جميع أموره وقضاء حوائجه الدنيوية
والآخروية ، لا بحولى ولا بقوتى ، بل ببركة النبي صلى الله عليه وسلم » .
ويشير مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية إلى هذه الوصية بشكل آخر ،
فيقولون : « إنهم (الفقراء) كأشجار الزيتون بعضها ضعيف وبعضها كبير ،
فمن لا زيت فيه فأنا زيت » (٣) .

(١) ولا تزال آثار تلك الوصايا قائمة بين الناس حتى اليوم ، وخاصة ما امتازت به من روح
التواضع وعدم التكلف ، الأمر الذي يدل عليه المثل الشائر « خل البساط أحمدى »

(٢) الجواهر : ص ٥٦ (٣) المجلد الاول : ص ٦٨

ثم يدعون أنهم لم يفهموا تلك الوصية ولم يدركوا ماتضمنته من المبادئ التعليمية السامية ، ويذكرون في نفس الوقت أنها تخالف قول يوحنا المعمدان في الإصحاح الخامس عشر ، الفقرة الثانية .

وبالرجوع إلى إنجيل يوحنا المشار إليه ، نراه يقول في الإصحاح الخامس عشر في الفقرتين الأولى والثانية مايلي : « أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرّام ، كل غصن فيّ لا يأتى بشمر ينزعه ، وكل ما يأتى بشمر ينقيه ليأتى بشمر أكثر . » ثم يقول في الفقرتين السادسة والسابعة مايلي : « إن كان أحد لا يثبت فيّ يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ويحمره ويطرحونه في النار فيحترق ، إن ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيسكون لكم (١) . »

ويظهر من الموازنة بين القولين أن البدوى كان زيتا لمن ليس به زيت ، أى أنه لا يدع تليذه الضعيف أو زيتونه الصغير يحف ويموت بين برائن الجمل ، بل كان يهب حياته لتعليم تلاميذه ، ويهيئ لهم من الفرص ما يناسب استعدادهم العقلي وقدرتهم على قبول تعاليمه السامية ، وهو ما يعبر عنه بمبدأ (تكافؤ الفرص) في العصر الحديث ، وهو مبدأ شعبي عام يتفق وتعاليم الدين الاسلامي الذي جاء للناس كافة .

أما مانص عليه الانجيل ، فهو ملخص للنظرية المسيحية للتعليم في العصور الوسطى ، عندما كان التعليم مقصوراً على طبقات خاصة ، كرجال الدين والاشراف والفرسان . أما من عداهم من عامة الشعب ومن ليست لديهم

(١) انجيل يوحنا ، طبعة جمعية التوراة الامريكية : ص ٩١

القدرة على تفهم العلم ، فقد حرموا نوره ، وحيل بينهم وبين مورده العذب ، فاعتبروهم كالأغصان الجافة التي تعد لتسكون حطاماً للنار وبئس المصير .
وكان شعار الأحمديّة الملابس الحمرة (الخرقة الحمراء) ، اتخذوها عن أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه كانت له حلة حمراء ، ولأنه قدّم لواء بنى سليم يوم فتح مكة على بقية الألوية وكان أحمر (١) .
وكذلك كان اللون الأحمر شعاراً لبعض الفرق الفلسفية في الإسلام من غير المتصوفة

وقد كان للأحمديّة علم أحمر لا يحمله إلا من توافرت فيه شروط خاصة تدل على عناية الأحمديّة بأمور الأخلاق والدين ، ومنها : ألا يكذب ، ولا يأتي بفاحشة ، غاض البصر عن المحارم ، طاهر الذيل ، عفيف النفس ، خائفاً من الله ، عاملاً بكتابه ، ملازماً للذكر ، دائم الفسك .
وعن الطريقة الأحمديّة نشأت عدة طرق كالشيعية ، والشناوية والبيومية نسبة إلى (اليوم) (٢) مقر الشيخ على البيوى شيخ هذه الطريقة . وقد بلغت الفرق المتشعبة عن الأحمديّة - كما أسلفنا - نحو أربع عشرة فرقة ، كانت كل منها نواة لجماعات صوفية كثيرة ، لا يزال بعضها باقياً إلى اليوم .

(١) الجواهر : ص ١٥

(٢) إحدى قري مركز ميت عمر بمدينة الدهلية .

٤ - مؤلفات البدوي وقيمتها :

لا ريب أن البدوي قد سجل ثمرات عقله في عدة مؤلفات ، اختص بعضها بالتصوف السني ، واتصل البعض الآخر بالفقه الشافعي الذي اهتدى بهديه .

إلا أن هذه المؤلفات لم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير مما حافظ عليه السلف الصالح ، ومن المؤلم حقاً أن يكون كثير من هذا القليل لا وجود له إلا في دور السكتب الأجنبية ، وخاصة في باريس وبرلين وجوتا وليبزج والآستانة . ولعل سبب ضياع هذه المؤلفات وخروج بعضها من بلادنا ، يرجع إلى فتح سليم الأول العثماني لمصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) ونقله معه - عند ما عاد إلى الآستانة - كل ما عثر عليه من كتب ومؤلفات ، وتحف ونفائس ، كانت ولا تزال تفخر بها متاحف الآستانة ، والمتاحف الأوروبية التي شاركتها في ذلك التراث الخالد والارث المجيد .

ولهذا ، فلا عجب إذا كان مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية هم أول من كتبوا عن تاريخ السيد أحمد البدوي بصورة لم يسبق لها مثيل ، مدعين آراءهم بالمراجع والأسانيد ، التي كانت خير عون لنا في بحثنا عن تاريخ هذا الولي العظيم (١) .

(١) راجع ما أشارت إليه دائرة المعارف الإسلامية من مراجع لتاريخ البدوي (المجلد الأول : ص ١٦٥ وما بعدها) .

ومن أشهر مؤلفات البدوى ، التى أشار إليها مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية ، وهدانا إليها البحث هى :

« صلوات » : وهى مجموعة من الأدعية والصلوات وضعت للأتباع والمريدين ، وقد شرحها ونشرها « عبد الرحمن بن مصطفى عيروس » ، أحد مشاهير الصوفية فى القرن الثانى عشر (الثامن عشر الميلادى) ، فى رسالة جديدة بعنوان « فتح الرحمن » وذلك بين سنتى ١١٣٥ ، ١١٩٢ هـ ، وهذه الرسالة مسجلة بدار الكتب الملكية بالقاهرة (١) .

« وصايا » : وهى مجموعة من الوصايا والعظات ، فى شكل جمل وعبارات عامة ليس لها طابع شخصى ، ولكنها تتفق مع آراء البدوى الصوفية ، وقد وجهها إلى عبد العال ، لتسكون دستوراً له وللأتباع والمريدين من بعده ، ينسجون على منوالها ، ويترسمون خطاها (٢) .

كتاب « الإخبار فى حل ألقاظ غاية الاختصار » ، وهو مخطوط كتبه شخص يدعى إبراهيم سنة ٦٣٩ هـ ، أى بعد نزول البدوى بطنطا بسنتين ، ويرجح أن يسكون إبراهيم هذا هو أحد المريدين الذين كانوا يسكتبون للبدوى رسائله ومؤلفاته .

وهذا الكتاب شروح طويلة فى الفقه ، والمعاملات ، والأحوال الشخصية على مذهب الإمام الشافعى . وقد أشار إليه الظواهرى فى

(١) فهرس دار الكتب الملكية : ج ٧ ص ٧٨ .

(٢) سبق الإشارة إلى بعض هذه الوصايا أجالا وتفصيلا .

مذكرته (١) ، فقال :

« ويظهر أنه (البدوي) قد بلغ من الأهمية العلمية مبلغاً كبيراً ، فإنه قد
عثر على مؤلف في مذهب الإمام الشافعي منسوب إلى سيدي أحمد البدوي . .
وقد ورد للبدوي (حزب) مختصر خاص به ، كما ورد لغيره من متصوفة
عصره ، وقد جاء به مايلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم - ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . . . (إلى
آخر السورة) ، اللهم اكفنيهم بما شئت ، اللهم إني أعوذ بك من شرورهم ،
وأدرأ بك في نحورهم ، بك أحاول ، وبك أقاتل ، اللهم واقية كواقية الوليد ،
بكم يعص كفيت ، حم عسق حميت ، فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ،
وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وصلى
الله على سيدنا محمد النبي المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
والحمد لله رب العالمين (٢) ، .

(١) مذكره الظواهري بمناسبة زيارة الخديو عباس حلمي الثاني لطنطا : ص ٥٥ .

(٢) راجع مجموعة الايراد للسيد محمد عبد الرحيم : ص ٣٨ و ٣٩ (طبع سنة ١٣١٢ هـ) .

الفصل الثامن

حياة البدوى الروحية

١ - فكرة البدوى الروحية :

كانت حياة البدوى الروحية أصدق مثل لأولئك الصوفية الأطنهاره الذين امتلأت قلوبهم بالحب الربانى وتهذبت نفوسهم حتى سمت إلى مرتبة الفيض الإلهى ، فلم يكونوا من طلاب الجنة ، بل كانوا من عشاق رب الجنة ، وشتان بين من يضافى المالك ومن يتعلق بالمملوك (١) .

كما كانت حياته صورة لأولئك الصوفية الأبرار الذين صيرهم الحب الربانى أقباساً روحية ، وجعل حياتهم أوتاراً دقاً تصدح بأعذب الألحان فى عالم الأرواح والأذواق (٢) .

وأمثال هؤلاء المتصوفة قد كثرت أتباعهم ، والتف حولهم مريدوهم ، ولأنهم عرفوا كيف يتوجهون إلى الجماهير فيخاطبونهم بلغة القلب والروح التى هى أعذب وأيسر من لغة العقل والمنطق (٣) .

وسط هذا التسامى الروحى ، وحول منهل هذا الفيض الإلهى ، كان للبدوى

(١) مقتبسة من التصوف الإسلامى : ج ١ ص ٤٦ (٢) المرجع السابق .

(٣) مقتبسة من دروس فى الفلسفة : ص ٧٨

القدح المعلق ، والنصيب الأوفر ، فكان يأتي إليه الرجل ، وقد علته السكابة
وأسقمه المرض ، فيخرج من حضرته وقد امتلأ قلبه بالحب الرباني ، وسلمت
نفسه من الرجس والدنس ، فيوجهه حيث شاء على بركة الله ، فلا يلبث إلا
أن يكون شيخاً بين أهله وعشيرته ، ينشر مبادئ أمستاذه البدوي على
طريقته الأحمدية .

ويعصف الظواهري قوة البدوي الروحية فيقول (١) :

«ولسیدی أحمد البدوی (رضی الله عنه) فی هذه التریة الروحية القدح
المعلق ، والنصيب الأوفر ، فقد تواتر أنه كان يأتي إليه الرجل البسيط القروی
فلا يتقلب إلى أهله إلا وقد امتلأ بالحب الرباني ، والكمال النفساني ، وتحول
من الحيوانية إلى الملكية الإنسانية ، ولا يعلم إلا الله قدر من انتفعوا على
يديه من هذه الوجهة مباشرة أو بالواسطة .

♦♦♦♦

٣ - ألقاب البروری :

كانت لأحمد عدة ألقاب مختلفة المعنى ، متفقة المرمى ، ذات قيمة عظيمة
في تفسير حالاته وبيان صفاته ، فهي تدل بصفة قاطعة على أنه لم يكن إلا
صوفياً شغله التصوف عن كل شيء ، فنسى كل شيء إلا ربه ، ولم يطمع في شيء
إلا في رضائه جل وعلا .

وقد أجمع فلاسفة التصوف على ما لتلك الألقاب من دلالة صوفية

لا مرأ فيها ، فضلاً عن أنه من المسلم به نظرياً أن الصوفي الحقيقي لا يبغي الدنيا وزينتها ، ولا يجوز لنا أن ننسب لمثله غير ذلك .

ولم يكن أحمد ليتخذ هذه الألقاب أو بعضها ستاراً يخفي وراءه أغراضاً سياسية ، أو آمالاً وأمانى دنيوية ، كأولئك الذين ادعوا التصوف لأغراض في نفوسهم ، فافتضح أمرهم ، وخسروا الدنيا والآخرة .

وليسكم ألقاب أحمد التي اشتهر بها طول حياته ، مع توضيح قيمة كل منها من الوجهتين الصوفية والتاريخية :

السيد : ومعناه الرئيس أو الزعيم ، وقد اشتهر به زعماء الشيعة وبخاصة الاسماعيلية منهم ، الذين كانوا يسمون رئيسهم « السيد » ، أو « سيدنا » ، أو « شيخ العرب » (١) .

وكان لقب « السيد » كثير الذبوع بين العرب وخاصة في شمال إفريقيا ، حيث نشأ البدوي نشأته الأولى ، وقد انتشر هذا اللقب أيضاً في الأندلس منذ نهاية القرن الحادى عشر الميلادى (٢) .

البدوى : نسبة إلى سكنى البادية ، حيث درجت أسرة أحمد ، وحيث عاش أجداده زمناً طويلاً ، ويرجع أصل هذا اللقب أيضاً إلى أن أحمد كان يضع لثامين على أسفل وجهه جرياً على عادة البدو في شمال إفريقيا من المرابطين الملتصين من البربر .

ويطابق ذلك ما رواه الرواة عن تعليل لفظ « البدوى » ، فقال عبد الصمد

(١) صلاح الدين وعصره : ص ٤٠

(٢) راجع تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ص ١١١

« وعرف أحد بالبدوى لملازمته اللثام وكان يلبس لثامين لا يفارقهما (١) ،
الملثم : وهو متصل بلقب البدوى الذى سبقت الإشارة إليه ، ولسكن لما
كان بعض العرب لا يضعون اللثام ، فقد خص بدوينا بالملثم تمييزاً له عن
أولئك البدو الذين لا يضعون اللثام .

ويسمى اللثام أيضاً « السكنبوش » ، وقد عرفه المستشرق « دوزى » ، بقوله :
« والسكنبوش ، بفتح الكاف ، اللثام الذى يستعمله أهل بلاد المغرب لتغطية
الوجه من الذقن إلى الخيشوم ، اتقاء لبرودة هواء الصباح ورطوبته (٢) » .
وقد كان السكنبوش من الملابس السلطانية عند الممالك بمصر ، وإذا
خرج السلطان للصيد فى إحدى جهات الريف ؛ كان السكنبوش من الهدايا
النفيسة التى يقدمها لرجال بلاده من الأعيان وعلية القوم ، كما روى على
مبارك باشا (٣) .

الفتى : وكنيته (أبو الفتيان) ، وهما من الفتوة ، التى كانت من أعظم
مظاهر الشجاعة عند شباب ذلك العصر ؛ فقد كان الشبان يتبارون فى ركوب
الخيول والصيد بالبندق (٤) ، وإذا اشتهر أحدهم بأعمال الفتوة ألبس ملابسه ،
ولقب بالفتى وكنى بأبى الفتيان .

(١) الجواهر : ص ٥

(٢) السلوك : ج ١ قسم ٢ - ص ٤٤٠

(٣) الخطط التوفيقية : ج ١٢ ص ٣٤

(٤) البندق قطع من الطين الجاف تضرب به الثبال ، وكانت توضع فى كيس يعرف باسم قرصى هو
(البندقدار) ، وحامله هو (البندقدارى) ، واليه نسب الظاهر ببيرس من الممالك البحرية

غير أن للفتوة عند الصوفية معنى آخر ؛ فهي دخود حرارة القلب اللازمة
للبداية (١) . ويصفها محي الدين بن عربي فيقول :
« للفتوة مقام القوة وهي حالة بين الطفولة والكهولة ، أى من زمان
البلوغ إلى سن الأربعين ، وفيها يسمى الشاب فتى ، وأصحاب حالة الفتوة
ومقامها يسمون الفتيان ، وهم أهل علم وافر ، ولا تصدر عنهم أية
حركة عبثاً (٢) » .

ولقد اشتهر البدوى بالشجاعة التى هى دليل الفتوة المادية كما أنه كان به
من الزهد والورع والعلم بأمور الدين ما هو دليل الفتوة الصوفية ، فحق له أن
يلقب بالفتى ويكنى بأبى الفتيان من الوجهتين المادية والروحية .

العطاب : وله معنيان ؛ أحدهما مرتبط بالفتوة المادية وما يتصل بها من
شجاعة الفارس ، وقدرته على إصابة غريمه بالعطب والهزيمة فى حلبة السباق
والنزال ؛ والآخر متصل بالفتوة الصوفية ، إذ العطب فى نظر المتصوفة ما يقع
من الضرر لمعارضتهم ، وخاصة من يمسه بأذى أو يناههم بسوء .

والعلاقة قائمة بين الفتوة والعطب ، سواء أ كانت مادية أم روحية ؛ وقد
روى عبد الصمد عن ابن حجر العسقلانى (٣) ، أن أحمد اشتهر بالعطاب
لكثرة ما كان يقع لمن يؤذيه من الناس (٤) .

(١) التصوف الاسلامي : ج ٢ ص ٤٧٨ (٢) الفتوحات المكية : ج ١ ص ٢٤١

(٣) جاء فى دائرة المعارف الاسلاميه أن ابن حجر كتب فصلين من تاريخ البدوى ٦ وقد

سجلا بفهرس مكتبة برلين بالجزأين ٦٤٣

(٤) الجواهر : ص ٥

ويقول حسن ، أخو البدوي ، في هذا الصدد :

« ولم يسكن في مكة والمدينة من الفرسان أشجع ولا أفرس من أخى
أحمد ، فسميته العطاب محرش الحرب (١) » .

الزاهد : لازم هذا اللقب أحمد منذ صغره كما قدمنا ، فاشتهر به في بلاد
المغرب عندما ألبسه الشيخ عبد الجليل النيسابوري خرقة التصوف في فاس
وهو لا يزال في المهد صدياً ، وفي ذلك ، يقول أبو السعود الواسطي : « وكان
يدعى وهو صغير بأحمد الزاهد (٢) » .

القطب : أسمى وأعظم ألقاب الصوفية ، وسمي به أكبر الأولياء بعد
الصحابة . ومعناه لغة - كما روى الخفاجي عن أبي البقاء - : « حديدة تدور
عليها الرحا ، أو نجم تبني عليه القبلة ، أو ملاك الشيء ومداره ، وسمي خيار
الناس به لا اجتماع خيار أو صافهم فيه (٣) » .

أما معناه في الاصطلاح فهو كل من جمع الأحوال والمقامات ، وهو
الغوث الواحد موضع نظر الله في كل زمان ، وقد يكون واحداً ، وقد يكون
لكل بلد قطب ولكل جماعة قطب .

وهنا يظهر التشابه بين نظرتي « المهدي » عند الشيعة ، و « القطب » عند
المتصوفة ، إذ يرى الشيعة أن الإمام لا يكون إلا واحداً يجب الخضوع له
وطاعة أوامره ، كما يرون صحة وجود أكثر من إمام واحد ، فلا ضير من
الخضوع للمفضول مع وجود الأفضل .

والحقيقة : أن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً ، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي وصاغت صياغة جديدة ، وسمته قطباً ، وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع (١) .

وقد أفاض ابن عربي في وصف القطب واعتبر القطبية مظهراً من مظاهر النبوة (٢) . ويتفق ذلك مع قول البدوي لعبد العال في إحدى رصاياه : « أعلم أن منزلة الشيخ في قومه كمنزلة النبي في أمته (٣) » .

ولقد حصل البدوي على درجة القطبية ، التي أعد نفسه لها منذ نعومة أظفاره كما قدمنا ، لذلك حق لنا أن نسميه قطباً ، وقد اعترف له بذلك مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية فقالوا : « ويعتبر أحمد البدوي ، منذ أجيال ، قطباً فيما يعرف عادة بالقطابة ، إلى جانب الجيلائي ، والرفاعي ، وإبراهيم الدسوقي (٤) » .

القدسي : نسبة إلى ميل البدوي إلى العبادة والتقديس ، وقد تكون النسبة إلى (قدس) أي الروح القدس ، ومعناها سمو الروح إلى مكانة الروح القدس كما حدث لعيسى عليه السلام ، وقد تكون لعدم إقبال البدوي على الزواج ، وميله إلى العبادة كما روى ابن حجر العسقلاني (٥) .

الصامت : مال البدوي ، وهو بمكة بعد عودته من العراق ، إلى الصمت ، فكان لا يتكلم إلا بالإشارة زيادة في الزهد ، وتقليداً للرفاعي الذي كان يقول : (أمرت بالسكوت (٦)) .

(١) ضحى الإسلام : ج ٣ ص ٢٤٦ (٢) الفتوحات المسكية : ج ١ ص ١٥١
(٣) الجواهر : ص ٥٧ (٤) المجلد الأول : ص ٤٦٩ (٥) الجواهر : ص ٥

ويعتقد المتصوفة أن الصمت من أهم مظاهر حياتهم ، حتى لا يكون لهم مثل مصير الحلاج ، فللصوفية مبادئ وآراء عميقة ونواح تبدو معقدة ، يجب التريث عند عرضها على الجمهور . وقد جاء في الحكم : « العبادة عشرة أجزاء ، تسعة في الصمت ، وواحد في العزلة (١) » .

الولي : وهو المحب أو النصير ، والجمع أولياء ، وفيهم نزل قوله تعالى : « الأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون (٢) » . وهو لقب عام استعمله الصوفية وغيرهم ، ويرى ابن تيمية : « أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمي أحدهم فقيراً أو صوفياً أو فقيهاً أو عالماً أو تاجراً أو جندياً أو صانعاً أو أميراً أو حاكماً أو غير ذلك ، باطلاق عام (٣) » .

ويظهر أن المتصوفة أدركوا ما لهذا اللفظ من المعاني المتعددة ، والدلالات المختلفة ، فلم يدخلوه ضمن ألقابهم التي اشتروا بها ، ولم يشيروا إليه في مؤلفاتهم إلا قليلاً حتى لا يشكل عليهم الأمر ، ولو أن هذا اللقب بلغ من الشهرة والذيرع درجة كادت تطغى على غيره من الألقاب الصوفية التي أشرنا إليها ، ويعمل ذلك اتصاله بنواح أخرى غير التصوف كما ذكرنا آنفاً .

محبب الأسارى من بلاد النصارى : ومعناه منقذ الأسرى من أيدي الصليبيين ، ولذلك دلالة خاصة في تاريخ ذلك العصر الذي عاش فيه البدوى بمصر ، وهو النصف الأول من القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي ،

(١) الغنية : ج ١ ص ٣٦ (٢) القرآن الكريم : سورة بونس - الآيات ٦٢ ، ٦٣

(٣) الصوفية والفقراء : ص ٢٥

فقد تعرضت مصر فيه لهجوم الصليبيين عليها أكثر من مرة (١) ، وقامت الحرب سجالات بين المسلمين والصليبيين بالديار المصرية ، ووقع بعض المسلمين في أسر الفرنجة ، ورغب بعض المتصوفة في إنقاذهم على سبيل العطف الإنساني وإظهار الكرامة .

وقد روى السيوطي أنه : تؤثر عن البدوي كرامات وخوارق ، أشهرها قصة المرأة التي أسر الفرنج ولدها ، فلاذت به فأحضره إليها في قيود (٢) . وقد نسب إلى الرفاعي مثل هذا العمل قبل أن ينسب إلى البدوي ، وفي ذلك يقول الرفاعي :

سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففي القتل راحة ولا هو ممنون عليه فيطلق (٣)
وهناك قصة أخرى رواها الشعرائي ونقلها عنه عبد الصمد ، وتتلخص هذه القصة في أنه شاهد بعينه سنة ٩٤٥ هـ أسيراً مقيداً على منارة سيدي عبد العال ، فلما ذهب إليه وجده في حالة ذهول ، بعد أن أنقذه البدوي بأعجوبة (٤) . ورواية الشعرائي للقصة مضطربة ومبالغ فيها ، كما هي عادته ، فقصة - الأسير أصلاً - نسبت إلى البدوي في حياته ولم تنسب إليه بعد مماته إلا على لسان الشعرائي .

وتصل بهذا اللقب عبارة عامة انتشرت بين أفراد الشعب المصري ،

(١) عاصر البدوي إحدى هذه الحملات وأعظمها شأنًا وهي حملة لويس التاسع (١٢٤٨ - ١٢٤٩)

(٢) حسن المحاضرة : ج ١ ص ٣٠٠ (٣) الوفيات : ج ١ ص ٥٥

(٤) راجع تفصيل تلك القصة بالجواهر ص ٢٢ الطيقات : ج ١ ص ٢٥١

وتناقلتها الألسن عدة قرون ، كانت دليلاً قاطعاً على ظهور هذا اللقب ، وما كان له من حقيقة إلى حد ما ، وما هي ذى العبارة :

« الله الله يابدوى جاب اليسرى » : وتفسيرها ؛ أشكر الله الذى منّ عليك يا بدوى وسأعذك على المحيى بالأسرى ، وتخليصهم بما كانوا فيه من ذل وخنوع .

ولانزال نرى حتى الآن بالموالد السنوية للبدوى جماعه قد لبسوا الخوذات وقيدوا أنفسهم بالسلاسل والأغلال ، تشبهاً بما كان عليه الأسرى قديماً عند ما كانوا يلوذون بالفرار من معسكرات الاعتقال وهم بملابس الأسرى .

مفرج السكروب : (وكنيته أبو فراج أو أبو الفرج) : وهى من الألقاب والسكنى التى تفسر ناحية من نواحي حب التوسل عند البدوى (١) ؛ فهو الذى يلجأ إليه لىسمى عند الله ورسوله لتفريج السكروب واللفظ فى القضاء ، وبخاصة إذا سلمنا بقبول أهل السنة للشفاعة وحدوثها حقاً ، وقد عرف البدوى بأنه : « أكبر أولياء مصر ومفرج كل السكروب منذ عهد طويل (٢) » ، وهناك ألقاب أخرى اشتهر بها البدوى كالسطوحى ، نسبة إلى سكنى السطح ، والصالح ، والعارف بالله ، والمعتقد ، وكلها دلائل القوتين الروحية والعلمية ، وقد اشتهر بها المتصوفة فى كل العصور .

(١) راجع حب التوسل عند البدوى فى الموضوع التالى

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الاول - ص ٤٦٨

٣ - عادات البروى :

ولما كانت عادات المرء تتم دائماً عن أخلاقه وآرائه وأفكاره - فالإنسان بمجموع عادات ، والمرء أسير عاداته - كان الرجوع إلى دراسة عادات البدوى من صباه إلى كهولته فى ثبت واضح ، من أهم العوامل التى تفسر لنا بعض ما غمض من نواحي حياته ، وتميط اللثام عما أحاط بقدرته الروحية من الغموض والإبهام . وإليك بعض العادات :

العبادة بالصيام : روى السيوطى أن البدوى لازم الصيام وواظب عليه حتى كان يطوى أربعين يوماً لا يتناول فيها طعاماً ولا شرباً ، وهو فى أكثر حاله شاخص البصر إلى السماء ، وعيناه كالجرتين ، وذلك بعد رجوعه من العراق إلى مكة ، ثم زاد على ذلك - بعد ما دخل مصر - القيام على السطح ، والصياح أحياناً إذا عرض له الوله (١) .

العبادة بالقيام : وقد كان البدوى يقوم الليل يتلو القرآن ويقيم الصلاة ، لأنه كان يرى - كما أشار فى وصاياه لعبد العال - أن كل ركعة بالليل أفضل من ألف ركعة بالنهار (٢) ، .

وقد ذكر الجيلانى أن صلاة آخر الليل وعبادته مشكورة ، وقد دعم رأيه بما يعتقد المتصرفون السنيون من آراء مستمدة فى مجموعها من الكتاب والسنة (٣) .

(١) حسن المعاصرة : ج ١ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ (٢) الجواهر : ص ٥٦

(٣) راجع تفصيل ذلك بالفتية للجيلانى : ج ١ ص ٦٤ وما بعدها .

عدم العناية بالملبس : وهو مظهر من مظاهر الزهد في الدنيا وزينتها ،
لجأ إليه البدوي متابعة للرافعي ، الذي انتهت إليه الرياسة في علوم الطريق
وشرح أصول القوم ، وشغف به البدوي فزار قبره وأتباعه بالعراق كما سبنا .
ومن أفعال الرافعي المأثورة في هذا الصدد ، قوله : « أحب لجميع أصحابي
الجوع والعري والفقر والذل والمسكنة ، وأفرح لهم إذا نزل بهم ذلك » .
كما كان يقول :

فلست أبالي من زمانى برية إذا كنت عند الله غير مرىب (١)
حب التوسل : نشأت هذه العادة مع البدوي لأنه - في الأصل - من عرب
البادية الذين يعتزون بشخصيتهم وكرامتهم ، ويعتدون بأنفسهم إلى حد بعيد .
وقد تأصلت في نفس البدوي تلك العادة بعد أن اشتهر أمره بطنطا ، وكثر
حوله الاتباع والمريدون ، ونصره الله نصر آميناً (٢) ، فعبر عما كان يخالجه
من روح الاعتزاز بالنفس والثقة بالله ، بقوله : « سواقي تدور على البحر المحيط ،
ولو نفذ ماء سواقي الدنيا كلها ، ما نفذ ماء سواقي » (٣) ، وفي ذلك إشارة إلى
كثرة الاتباع الذين كانوا يستهلكون من مياه الساقية ما بلغ حداً عظيماً ، انتهى
به إلى التعبير عنه بهذه العبارة ، وهي دليل الشكر وعلامة رضا الله عنه (٤) .
غير أن التوسل بأحمد خالطته عناصر مصرية قديمة ، كما قرر بعض

(١) الطبقات : ج ١ ص ١٩٢ (٢) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الاول ص ٤٦٦ .

(٣) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٧ (٤) ظلت هذه الساقية قائمة في الجهة الشمالية الغربية للمسجد

الاحمدى حتى عهد قريب ، ثم ردم البئر ورفعت الساقية لعدم الحاجة إليها فقد مدت أنابيب
المياه الحديثة الى داخل المسجد .

المستشرقين أمثال « ماسبيرو » و « إبيرز » و « جولد زيهر » (١). ويبدو ذلك صحيحاً إذا علمنا أن أهل مصر قد اعتادوا زمن الفراعنة التوسل بألهتهم وملوكهم ، ونسجوا القصص والأساطير حولهم ، حتى فاضت بها كتبهم الدينية وحفل بها أدبهم القومي .

ولما ظهرت المسيحية بمصر ، وانتشرت الرهبنة بسبب ظلم الرومان الوثنيين للمسيحيين ، تشكلت الأساطير الدينية بلون آخر ، وشاع بين رجال الدين المسيحي من السكرامات وخوارق العادات الكثير (٢) .

ولما دخل الإسلام مصر نهى عن كل ذلك ، فصدع المسلمون بالأمر ، وظلوا على ذلك زمناً طويلاً ، ولكنهم ما لبثوا أن رجعوا إلى قديم عاداتهم وسابق تقاليدهم ، فللبينة أثرها ، وللتقاليد سلطانها ، فأخذوا ينسجون من خيالهم الخصب أقاصيص حول زعمائهم المسلمين من العلماء أو المنصوفة ، وخاصة الفئة الأخيرة ، التي كان أفرادها أشد اتصالاً بالعامة من غيرهم ، فضلاً عن أن دراستهم الصوفية تبعث على الخيال لاتصالها بأمر فوق طاقة عقولهم وأبعد من مدى تفكيرهم .

ولم يسلم تاريخ البدوي من تلك القصص ، فقد سيطرت قوته الروحية على عقول كثيرين ، وظنوا فيه القدرة على أن يأتي بالمستحيل ، فيجى الموتى ويشفى الأبرص والآكهم ، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقبضه ممن يشاء . ولكن حاشاه أن يفعل ذلك ، وهو الذى يقول لعبد العال : « إني أساعد الفقراء

(١) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الأول ص ٤٧٠ .

(٢) من أمثلة ذلك نبوءات الأنبا شنودة وكرامات القديس مار جرجس

لا بحولى ولا بقوتى ، ولكن ببركة النبي صلى الله عليه وسلم (١) .
ولقد أطلق الشعراى العنان لنفسه عند ما كتب عن تاريخ البدوى ،
فاستسلم لسلطان الأساطير ظناً منه أنه إنما يشيد بذكره ويعلى من قدره .
ولكن النتيجة كانت عكسية ، فقد شوهت كتاباته جمال تاريخ هذا الولى
العظيم ، وأبعدت عنه كثيراً من أهل العلم والورع (٢) .

ولا يزال بعض عامة المصريين متأثرين بمثل تلك الأساطير ، فيرى البعض
أنه لزام عليهم أن يمروا بضريح البدوى صباح مساء ليضعوا أيديهم في ثقب
في جانب المقصورة الغربى ثم يضمونها في جيوبهم تبركاً ورغبة في بسط
الرزق ، وغير ذلك من المظاهر التى لم يكن للبدوى دخل فيها ، وإنما تناقلتها
الاجيال بتأثير البيئة وبحكم التقاليد على مر الأيام ، حتى لقد صار التوسل
والوساطة ملجأ لكثير من المصريين فى شئونهم المختلفة فى العصر الحاضر .

٤ - كرامات البروى :

ولما كان البدوى قد اشتهر بقوة الروح وصفاء النفس ، فإن التوفيق
كثيراً ما كان يصادفه فيما يطلبه من الله ، وما يرجوه لنفسه ولاتباعه ، وهو
يؤمن كغيره من الصوفية الاطهار أن الله قريب يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ،
ولاسيما إذا كان هذا الداعى من عباده المخلصين ، وخلق الصابرين الشاكرين ،

(١) الجواهر : ص ٥٦

(٢) سيظهر ذلك بوضوح فى موضوع الكرامات

فضلا عن أن الله قد عم أوليائه ومحبيه برضاه ، واختصهم بقربه ، وأفاض عليهم من روحه . وقد روى البخارى مصداقا لذلك عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« يقول الله تعالى - من عادى لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة ، وماتقرب إلى عبدى بمثل ما أفرضته عليه - ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإن أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبى يسمع ، وبى يبطش ، وبى يمشى ، ولئن سألتنى لآعطينه ، ولئن استعاذنى لآعيذنه (١) » .

ويفسر ابن تيمية هذا الحديث فيقول : « ومعنى هذا أن الولي يصل إلى درجة الإحسان التى هى كمال الإسلام والايمان ، والتى فسرهما النبي (صلى الله عليه وسلم) فى حديث أسئلة جبريل عن صحيح مسلم بقوله : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، والمراد أن هذه المراقبة والحضور القلبى فى الصلاة وغيرها من ذكر الله ، تغلب على القلب حتى يشعر صاحبها بأن الله الناظر إليه هو المصرف له فى جميع حركاته الظاهرة والباطنة (٢) » .

وقد عبر ابن عربى عن هذا المعنى فقال :

يا من يرانى ولا أراه كم ذا أراه ولا يرانى

وكان من أدلة رضا الله عن البدوى أن ظهرت له عدة كرامات نذكر

(١) الصوفية والفقراء : ص ٥٦

(٢) الصوفية والفقراء : ص ٢٧ والغنية للجيلانى : ج ١ ص ٧٠

بعضها على سبيل المثال - لا على سبيل الحصر - مؤمنين بأن حدوثها إنما هو من باب التوفيق ، واستجابة الدعاء من قلب مؤمن راسخ الايمان ، فمنها :
ما حدث للشيخ ركن الدين التاجر بطنطا من غنى و ثراء ، لنزول البدوى بمنزله - كما مر بنا .

وما رواه السيوطى من كراماته فى قصة المرأة التى أسر الفرنج ولدها فلاذت به ؛ فأحضره إليها فى قيوده ، وقد أشرت إليها من قبل .

ثم قصة الرجل الذى مر به وهو يحمل قربة لبن فأوماً إليها البدوى بأصبعه فانقدت وانسكب اللبن وخرجت منه حية قد انتفخت (١) ، وبذلك حفظ الناس من شر هذا اللبن المسموم بحول الله وقوته ، وتوفيته ورضاه . وكذلك ما يحدث كل سنة من نجاح موالده نجاحاً ليس له نظير فى أية جهة أخرى ، وما يفيض على زواره من الايمان والاطمئنان إذا أخلصوا فى زيارتهم .

وقد أفاض الشعراى وعبد الصمد (٢) ؛ ومن نقل عنهما ، فى الإشارة إلى كثير من كرامات البدوى ؛ التى اصطبغ معظمها بالصبغة الأسطورية فأساءت إليه وإلى روايتها أكثر مما أحسنت إليهم جميعاً ، وذلك لأن التصوف الإسلامى اتصل بالاسرائيليات التى دخلت فى الاسلام عن طريق رواة اليهود ، ومن سار سيرتهم مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه (٣) .

(١) حسن المحاضرة : ج ١ ص ٣٠٠

(٢) الجواهر : ص ٤٥ والطبقات : ج ١ ص ٢٤٥

(٣) فجر الاسلام : ص ١٩٨ والسيادة العربية والشيعة والاسرائيليات : ص ١٠٧

وقد تأثر تاريخ البدوى بهذه الاسرائيليات تأثراً عظيماً ففسحت حوله بعض القصص المتصلة بتصوفه وكراماته ، كقصّة اللثامين : إذ سأل عبد المجيد - شقيق عبد العال - أستاذه البدوى أن يرفع لثامه ليرى وجهه ، فحذره البدوى قائلاً : « كل نظرة برجل » ، فلما أصر عبد المجيد على طلبه ، كشف له البدوى لثامه الأعلى فصعق (١) .

وتشبه هذه القصة قصة « ابن جلا » التي لم يعرف العرب القدماء معناها ومبناها ، وقد رواها الطبرى والبيضاوى (٢) ، وتأثر بها الحجاج الثقفى عندما ولى العراق ، فأرهب العراقيين بقوله المشهور :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

ولعل « ابن جلا » هذا بطل من فسج خيال العرب على غرار بطل طروادة فى تاريخ اليونان القديم .

ولقد روى الشعرائى من هذا النوع قصصاً كثيرة منها : ما حدث له عند ما امتنع عن حضور المولد الأحمدي ، فقابلته البدوى بنفسه فى القاهرة وطلب إليه أن يحضر المولد ، ولا بد ، متغلباً على كل ما يعترضه من عقبات فى سبيل الزيارة (٣) .

ومن العجيب أن يوجه مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية اللوم اللاذع للبدوى على ما فعل ، ويمتدحوا الشعرائى على ادعائه وخياله الخصب الذى بعث به البدوى من مرقدته فى صورة إنسان ، وقد فارق الحياة منذ ثلاثة قرون

(١) الجواهر : ص ١٧ ودائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول ص ٧٠

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول ص ٧٠ (٣) الطبقات : ج ١ ص ٢٩

ثم نسب إليه ما هو منه برىء ، وما لا يتفق مع روح التصوف ، وما يتصل به من التسامى الروحى (١) .

وهذه القصص التى رواها الشعرائى لا تضير البدوى ، بل توضح الدرجة التى انحدر إليها التصوف الإسلامى فى مصر فى عصر الشعرائى (القرن العاشر الهجرى) ، كما تدل على مقدار تأثر التصوف بالنظريات الدخيلة عليه ، كتناسخ الأرواح وانتقالها بعد الممات من مصير إلى مصير ، يختلف نوعيا وشقاء باختلاف أعمال صاحبها فى حياته الدنيا .

ومن دلائل التوفيق أن الشعرائى فى كتابه « لطائف المنن » (٢) يؤكد ما ذهبنا إليه من الانحلال الخلقى ، والاضطراب الفكرى اللذين سادا ذلك العصر ، وتعتبر أدلة ضده وليست له .

نستخلص مما سبق أن ما كان عليه البدوى من الدرجة العلمية والقدرة الروحية ، إنما هو صورة صادقة لعصره ، وإن فيما درسناه من مبادئ وآرائه وما أشرنا إليه من مؤلفاته ، وعاداته وكراماته ، هو خير شهيد ، وأقوى دليل على صحة ما قصدنا إليه فى هذا السبيل . وإن من الحكمة وحسن التقدير أن ينظر الباحث إلى العصر الذى يكتب عنه بمنظار العصر نفسه ، وأن يكون حكمه قائماً على قاعدة القياس مع الفارق ، ، فيعطى ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

(١) المجلد الاول ص ٤٧٠

(٢) هو مؤلف تقيس مكتبته الشعرائى يصف فيه الحالة الاجتماعية بمصر فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، ويعتبر من أحسن ما كتب .

الفصل التاسع

علاقة البدوى بمعاصريه من حكماء مصر

استقر البدوى بطنطا منذ وطئت قدمه أرض مصر ، وعاش بها بقية حياته بين سنتي ٦٣٧ و ٦٧٥ هـ (١٢٤٠ - ١٢٧٦ م) ، ولقد عاصره في هذه الفترة بعض سلاطين الأيوبيين والمماليك البحرية ، ومنهم :

١ - العادل أبو بكر بنه الظاهر :

ويعرف أيضاً باسمه العادل الثاني ، ، وقد استمر حكمه إلى سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) ، وقد حضر البدوى إلى مصر في عهده الذي اشتهر بالفوضى والاضطراب ، والتأخر والانحلال ، فقد كان العادل شاباً مستهتراً ، يخالط الشبان ويقتل معهم وقته في اللهو واللعب ، نخلت خزانة الدولة من المال وعم الفقر البلاد ، لذلك خلع وتولى بعده أخوه الصالح نجم الدين أيوب (١) .

وإذا كانت للبدوى غايات سياسية بمصر ، فإن هذا العهد المضطرب كان أكبر عون له على بذر بذور ثورته ، وجمع أتباعه للوصول إلى غايته ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ولم يظهر له أثر .

(١) راجع ثبت الحكم والسلاطين بآخر الكتاب .

٢ - الصالح نجم الدين أيوب :

حكم حتى سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، وفي عهده وقعت حوادث الغلاء - التي سبقت الإشارة إليها - سنة ٦٣٩ هـ . وفي أواخر أيامه هاجم الفرنسيون مصر بقيادة ملكهم « لويس التاسع » ، سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، وكثر الأسرى من المسلمين والفرنسيين ، فكان ذلك مشجعاً على ظهور قصص جلب الأسرى وتخليصهم من أيدي الفرنجة بفضل الأولياء - كما كان مشهوراً (١) .

٣ - المعز عز الدين أيوب التركمانى :

كان في الأصل نائباً للسلطنة ، ثم استقل بالملك بعد قتل « توران شاه » ، ابن الملك الصالح أيوب ، وتزوج من شجرة الدر ؛ وظل متربعا على العرش حتى قتل سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٦ م) ، ويعتبر عز الدين أيوب أول سلطان للمماليك البحرية بمصر .

وفي عهده ثار جماعة من الأعراب بزعامه « حصن الدين ثعلب » ، عند ديروط بالصعيد ضد المماليك ، واندلعت نيران الثورة في بعض بلاد الوجه البحرى (بليس وسخا وسنهور) ، وذلك سنة ٦٥١ هـ ، وكان الثوار يقولون : « إنا أحق بالملك من المماليك ، وقد كفى أننا خدمنا بنى أيوب ، وهم

(١) مات الصالح في أثناء الحرب فقامت زوجته « شجرة الدر » بدور مشكور في سبيل نجاح

المصريين وهزيمة الصليبيين قرب المنتصرة .

خوارج خرجوا على البلاد (١) ، .

ولكن المعز شئت شملهم وقضى عليهم ، ولم يعرف عن البدوى أو عن أحد من أتباعه أنه اشترك في هذه الثورة الشيعة ، أو كان له يد فيها . كذلك لم تكن طنطا - مع توسط مركزها - أحد ميادين هذه الثورة . ولو أن البدوى شاء أن يشترك فيها من قرب أو بعد لأصابه شررها ونالته بعض ويلاتها ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك ألبتة .

وفي عهد المعز أيضاً 'عين' ابن بنت الأعز (٢) ، قاضياً لقضاة مصر سنة ٦٥٤ هـ بدلا من 'بدر الدين يوسف السنجارى' .

وقد زار 'ابن بنت الأعز' ، البدوى بطنطا في عهد المعز ليقف على حقيقة أمره ، وليتأكد من بعده عن حوادث 'حصن الدين ثعلب' ، أو ما يشابهها من ثورات الشيعة التي قد تدبر في الخفاء ، وخاصة بعد فشلها الأول . ويصف على مبارك باشا هذه الزيارة فيقول :

'لما سمع قاضى القضاة ، شيخ الإسلام ، تقي الدين (ابن دقيق العيد) بشهرة البدوى وكثرة اعتقاد الناس فيه ، مضى إليه وصعد إلى السطح ، فلما رآه قال في نفسه : سبحان الله ، ما هذا الاعتقاد من الناس في هذا الرجل ؟

(١) السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧

(٢) هو تقي الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم بن بنت الأعز ، ويسميه المقرئ (تاج الدين) ، ويسميه متصوفة عصره (ابن دقيق العيد) ، لأنه كثيراً ما كان يعمل على مطاردتهم والخط من قدرهم ، ويخف إلى ذلك سرطاً متمداً على مركزه الممتاز في الدولة ، وقد عزل من منصبه بعد قتل المعز ، ثم أعيد إلى وظيفته في عهد الظاهر بيبرس ، وبقي فيها حتى مات سنة ٦٦٥ هـ . (راجع السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٤٠٠ ، ٤٠١) .

وما هذه الشهرة ، وليس فيه ما يوجب ذلك ؟ وما هو إلا مجنون من المجانين ،
 رفع إليه البدوى رأسه وكشف وجهه وأنشد يقول :

مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز ، على أعتابه يسجد العقل

فلما كلمه عرف الشيخ قدره وعظمه ، واعتذر إليه وقبل يده (١) .

وتعتبر هذه القصة أوضح ما رواه الرواة عنها ، وأقلها تعلقا بخيال
 الأساطير ، إذا وازنا بينها وبين روايات عبد الصمد (٢) .

ويروى الشعراني هذه القصة بصورة أخرى ، ويدخل الشيخ عبد العزيز
 الدريني (٣) ، المتوفى سنة ٦٩٧ هـ ، طرفا ثالثا فيها ، وإليك تلك القصة :

«واقعة ابن دقيق العيد وامتحانه لسيدى أحمد (رضى الله عنه) مشهورة
 وهى : أن الشيخ تقي الدين أرسل إلى سيدى عبد العزيز الدريني (رضى الله
 عنه) ، وقال له : امتحن لى هذا الرجل الذى اشتغل الناس بأمره ، فإن أجابك
 فهو ولى الله تعالى . فضى إليه الدريني وسأله فأجاب بأحسن جواب ، .

ثم يستطرد الشعراني فيقول : «كان سيدى عبد العزيز إذا سئل عن سيدى
 أحمد (رضى الله عنه) ، يقول : «هو بحر لا يدرك له قرار (٤)» .

وقد روى عبد الصمد ما رواه الشعراني نقلا عن السيوطى مع بعض
 التفاصيل (٥) . وقد نسج على منوالهما على مبارك باشا فذكر القصة بما يتفق
 مع روايتى الشعراني وعبد الصمد مع تعديل طفيف (٦) .

(١) علم الدين : ج ١ ص ١٣٨ (٢) الجواهر : ص ٢٧ - ٢٩

(٣) راجع ترجمته بالطبقات : ج ١ ص ٢٧٢ (٤) راجع تفضيل القصة بالطبقات : ج ١ ص ٢٥١

(٥) الجواهر : ص ٢٨ (٦) علم الدين : ج ١ ص ١٣٩

وتدل هذه القصص ، مهما اختلفت أساليبها ، على مقدار ما نال البدوى من شهرة في ميدان التصوف بمصر ، تلك الشهرة التي أثارت لواعج الحقد ، وأيقظت نار الحسد في قلوب المعارضين له .
كما تدل أيضاً على نزعة الصوفية السليمة ، التي لم تخاط قط بمظاهر الحكم السياسي ، ولم تتصل بالثرورات المحلية مهما كانت أسبابها ونتائجها . وقد ظل البدوى عند موقفه ولم يغيره .

٤ - الظاهر سيف الدين قطز :

بدأ حكمه نائباً للسلطنة عن الملك المنصور نور الدين على ، ابن المعز ،
ولسكنه ما لبث أن استقل بالملك في ذى القعدة سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) .
واستمر حكمه سنة كاملة ، إذ قتل في ذى القعدة من السنة التالية .
وفي عهده ظهر الكوراني ، وهو شاب طائش ، خرج على الدين بسبب
بدع نسبت إليه ، ثم جدد إسلامه بعد أن ضرب ضرباً مبرحاً ، وأطلق من
الاعتقال فأقام بالجبل الأحمر ، وقد قام بشورة خطيرة في أوائل حكم الظاهر
يبرس كما سيأتي بعد (١) .

(١) الملوك : ج ١ قسم ٢ ص ٤٢٠

٥ - الظاهر بيبرس البندقداري :

تولى حكم مصر بعد قتل قطز ، في ذى القعدة سنة ٦٥٨ هـ ، ولكنه لم يحتفل بشعار السلطنة إلا في شهر صفر من السنة التالية ، وذلك لتجدد ثورة السكوراني ، الذي أظهر الزهد ، وسكن قبة الجبل ، وتردد عليه الغلمان فخدمهم في القيام على أهل الدولة ، وأقطعهم الإقطاعات وكتب لهم رقاعاً بها ، كما لو كان صاحب الأمر الحقيقي في البلاد .

وبدأت الثورة تحت جنح الظلام ، وكان العسكر قد علموا بأمرها ، فأحاطوا بالثوار ، وما انبلج الصبح حتى قبضوا عليهم جميعاً وصلبواهم خارج باب زويلة ، فسكنت الثائرة ، وكان ذلك في نهاية سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) (١) .

وكانت تلك الثورة عظيمة الأثر في سياسة بيبرس فقد حقد على الشيعة وعلى كل من يمت إليهم بصلة ، وذلك لأن السكوراني ، اتخذ آل على ، شعاره في ثورته ، وأظهر أنه من الشيعة المتطرفين .

وقد ظهرت بوادر سياسة بيبرس ضد الشيعة عامة بعد ما سقطت الدولة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، ورغب في إحياء الخلافة العباسية بمصر لتدعيم مركزه ديفياً وسياسياً ، وقطع الطريق على العلويين الذين جاهدوا لنيل هذا الشرف منذ سقوط الدولة الفاطمية ، ولكن دون جدوى .

ويثبت صحة ذلك السير ولیم مویر ، إذ يقول : (٢) « وكان غرض بيبرس

(١) راجع تفصيل ذلك في السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٤٠

(٢) تاريخ دولة المماليك في مصر : ص ٤٢

من ذلك أن يقوى عرشه ضد أحفاد نظرائه سابقاً من المماليك ، وكذلك خوفاً من قيام الشيعة لارجاع الدولة الفاطمية ، فظن أنه لو نصب خليفة من السنيين فإنه يقضى على مثل هذه الدسيسة ، ويجعل حكمه في مصر شرعياً . لذلك لما سمع أن أحد العباسيين قد أخطأته مذبحه المغول ، جد في استحضاره من سورية إلى مصر في موكب حافل . ولما اقترب العباسي من البلاد خرج السلطان وحاشيته لمقابلته . ومالبت أن بوبع بالخلافة بلقب المستنصر بالله ، فكان أول الخلفاء العباسيين بمصر .

وكان على بيبس ، بعد أن استقرت له شئون الملك ، أن يتعقب الشيعيين بالديار المصرية ويقضى عليهم حتى يسكون في مأمن من دسائسهم ، وغالطه الشك في أمر أحمد البدوي ، باعتبار أنه علوي متصوف ، فقد يسكون صورة للسكوراني الذي سبقت الإشارة إليه .

لذلك خرج بيبس سنة ٦٦٢ هـ لزيارته ببلدة طندتا (طنطا) ، ويصف المقرئ هذه الزيارة فيقول : « مضى (بيبس) إلى الغربية ، فصار يسير منفرداً في خفية ، ويسأل عن وإلى الغربية الأمير ابن الهمام وعن سيرة نوابه وغلمانه ومباشره ، فذكرت له عنه سيرة سيئة ، فقبض عليه وأقام غيره ، وشكى إليه ظلم أحد المباشرين (الصيارف) النصاري ، فأمر به فشنق (١) » .

ويشير المقرئ إلى التقسيم الإداري للدلتا في عصره ، لا في عصر البدوي وبيبس ؛ إذ أن إقليم الغربية لم يظهر إلا في القرن الثامن الهجري في عهد

السلطان الأشرف شعبان (٧٧٧ هـ) ، وفي هذا الاقليم كانت تقع بلدة طندتا إذ ذاك (١) .

ثم واصل بيبرس سيره إلى دمياط ، ثم إلى الشرقية . ولا جدال في أن بيبرس كان قد مر بطندتا في هذه الجولة التفيتشية السرية ، وزار البدوي في خلوته ومكان اعتكافه وعرف حقيقة حاله ، فاطمأن اليه وقيل الأرض بين يديه ، بعد أن اعتقد صحة ولايته وصدق صوفيته .

وقد ترددت أخبار هذه الزيارة على ألسنة الناس ، وتناقلتها أقلام الكتاب جيلا بعد جيل ، بل كانت مصدراً لكثير من القصص والاباطير التي أفاض في وصفها الشعرا في عهد الصمد ، ونخص منها بالذكر رواية الشعرا في وهي : « كان الملك الظاهر بيبرس ، أبو الفتوحات ، يعتقد في سيدي أحمد (رضى الله عنه) اعتقاداً عظيماً ، وكان ينزل لزيارته (٢) . »

وقد ردد مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية هذا المعنى فقالوا : « ويقال إن معاصره الظاهر بيبرس كان يقده ، وأنه قبل قدميه (٣) . »
والراجع أن زيارة الظاهر للبدوي قد تكررت في سنة ٦٦٤ هـ ، وعندما خرج السلطان إلى الاسكندرية لمباشرة حفر خليجها بنفسه (٤) ، ولما انتهى منه انتقل إلى أيار (٥) ، ثم عاد إلى قلعة الجبل بالقاهرة (٦) . ويرجح أن يسكون الظاهر قد مر بطندتا ، فهي على الطريق بين أيار والقاهرة .

(١) راجع أطلس أسفل الارضين : لوحة رقم ٧

(٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٧ والجواهر : ص ٣٩ و ٤٠ (٣) المجلد الاول : ص ٤٦٦

(٤) المقصود بخليج الاسكندرية الترع التي كانت تصلها بنهر النيل

(٥) احمدى بلدان مركز كفر الزيات بمديرية الغربية (٦) الجبلوك : ج ١ رقم ٢ ص ٥٤٣

ولم تكن زيارة بييرس للبدوى ، الأولى والأخيرة من نوعها ، فقد تكرر زيارته لكثير من أولياء مصر في عصره ، فقد زار بالاسكندرية ، الشيخ المعتقد محمد بن منصور بن يحيى أبى القاسم القيسارى ، فلم يمكنه من الطلوع إليه ، ولم يكلمه إلا وهو فى البستان والشيخ فى عليته ، ثم مضى لزيارة الشيخ الشاطبى (١) .

وقد بلغ من احترام الظاهر للمتصوفة أنه كان يدعوهم إلى حضور حفلاته الرسمية ، كذلك كان أول من عني بتجديد الجامع الأزهر بعد أن أهمل أمره منذ سقوط الدولة الفاطمية ، كما بذل جهداً عظيماً فى محاربة المنكرات والقضاء عليها ، وفى سنة ٩٦٧ هـ كتب بإزالة الخمر وإبطال الفساد والخواطى من القاهرة ومصر وجميع أعمالها ، فطهرت كلها من المنكر ، ونهبت الخانات التى جرت عادة أهل الفساد على الإقامة بها وسلبت جميع أموال المفسدات وحبس حتى تزوجن ، ونفى كثيراً من المفسدين ، وكتب إلى جميع البلاد بمثل ذلك (٢) .

وقد أضاف المقرئى إلى ما سبق أن الظاهر كانت له عدة أوقاف بمصر : منها وقف الطرحاء لتغسيل فقراء المسلمين وتسكينهم ودفنهم ، وهو أكثر الأوقاف نفعا ، كما كان يطعم فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان خمسة آلاف نفس (٣) .

(١) السلوك : ج ١ - قسم ٢ ص ١٩٩

(٢) السلوك : ج ١ - قسم ٢ ص ٥٧٨

(٣) السلوك : ج ١ - قسم ٢ ص ٦٣١ ، ٦٣٩

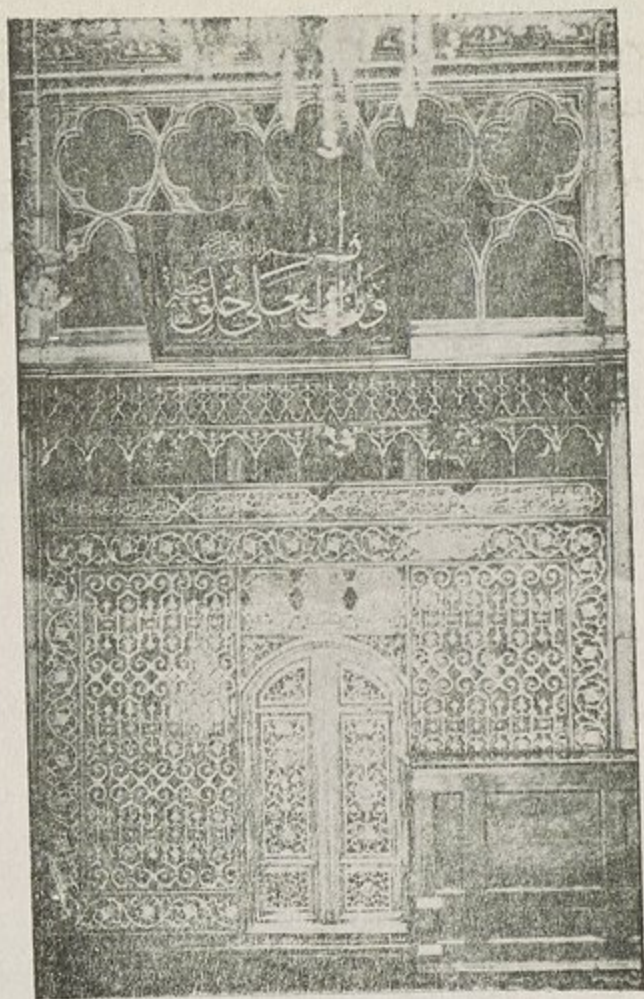
تلك صورة للظاهر بيبرس الورع الكريم ، وهاكم صورة أخرى لبيبرس السياسي الماهر ، الذي جمع إلى الصلاح والورع حدة الذهن وبعد النظر ، وطول الباع في أصول الحكم والسياسة . وفي ذلك يقول السير ولیم مویر :
 « على أن بيبرس رغم عدله في إدارة شئون البلاد ، كان لا يتأخر ، عند إثارة نار حقده ، عن الغدر والخيانة والاستهانة بالآرواح والأنفس . وتلك طبيعة خاصة بجنسه ؛ فكان سريع التصديق لما يلقي إليه من الوشاية ، وكان لا يكتفي بتغيير وزرائه وحكامه من وقت لآخر مخافة أن يشتد بأسهم عليه فحسب ، بل كان يودعهم أعماق السجن ، وربما كانوا لا يخرجون منه أبداً . وكان أشد أخلاقه إيلاماً غدره ؛ فانه لم يتأخر أو يتردد في استخدامه لقضاء مآربه ، وشواهد ذلك عدة . »

ويستطرد السير ولیم مویر فيقول : « ولا حاجة بنا بعد ذلك إلى سرد حوادث غدره ، غير أن المسكر السيم الذي أبداه في المثل الآتي يبرر لنا ذكره . ذلك أنه أراد أن يتخلص من بطريق النصاري ببغداد بسبب مراحه من مصادقته للغول ، فاصطنع له بيبرس رسالة يشكره فيها على ما يقفه عليه من الأخبار السرية ، ثم دبر أن يكشف أمر حامل الرسالة ، فلما جرى بالكتاب بين يدي حاكم بغداد المغولي أمر بحجز رأس البطريق لخيانته (١) . »
 ونستطيع أن نستنتج من بعض الحقائق المتصلة بتاريخ الظاهر بيبرس أن عهده الذي عاش في أثنائه البدوي أكثر من خمس عشرة سنة (٢) ، كان خير

(١) تاريخ دولة المماليك في مصر : ٤٣ و ٤٤

(٢) بدأ بيبرس حكمه في أواخر سنة ٦٥١ هـ وتوفي سنة ٦٧٦ هـ وقد طهره البدوي طول حكمه تقريباً .

ممسار لمعرفة حقيقة الحالة التي كان عليها البدوي ، ولو أنه كانت لأحمد
أغراض سياسية أو أهداف دنيوية ، لما خفي أمرها على الظاهر بيبرس .
ولأنه لمن حسن طالع البدوي أن يمر تاريخه بمثل هذا العهد الذي
امتحن فيه شخصيته ، وصهرت فيه سمعته ، فخرجت كلتاهما صافية نقية
كريمة العنصر .



الجانب الأمامي لـ «سراج»
 «السيد أحمد البدوي»

الفصل العاشر

وفاة البدوي وأشهر خلفائه

١ - تاريخ الوفاة :

أجمع الرواة إجماعاً تاماً على أن وفاة البدوي كانت يوم الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٦٧٥ هـ (٢٤ أغسطس سنة ١٢٧٦ م (١)) ، وهو يوم إحياء ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت وفاته بطنطا حيث كان يعيش ، وحيث كان يتعبد ، وحيث توفي ودفن ، وحيث أقيم له القبر ، وحيث اشتهر هذا القبر حتى بنيت عليه قبة ، ثم بنى حولها مسجد عظيم ، يعتبر بحق من أكبر مساجد مصر وأعظمها شأنًا منذ عهد بعيد (٢) .

٢ - المرقب :

وقد عبر الشيخ عبد الصمد عن المدة التي عاشها البدوي - بمصر وغيرها - بكلمة الممدد ، التي أشار إليها في البيت الآتي :

(١) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الأول ص ٤٦٧

(٢) سنعود الى الكلام عن هذا المسجد في الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب . (٦)

إن رمت تعرف مدة قد عاشها بدوينا ، راجع تواريخ المدد (١) ومعنى ذلك أن مجموع الأرقام التي تدل عليها حروف كلمة المدد ، بحسب الجمل تعادل عدد السنوات الهجرية التي عاشها البدوي ، ومقدارها ٧٩ سنة ويساوي هذا العدد المدة بين سنة ٥٩٦ هـ (تاريخ الميلاد) وسنة ٦٧٥ هـ (تاريخ الوفاة) .

وقد اتخذ الشعراء من كلمة المدد ، معنى يعبر به عن قوة البدوي الروحية ، فقال : « وكان سيدي عبد العال يأتي إلى البدوي بالرجل أو الطفل فيطأه من السطوح ، فينظر إليه نظرة واحدة ، فيملؤه مدداً ، ويقول لعبد العال : إذذهب به إلى بلدة كذا أو موضع كذا ، (٢) »
ونما تجب ملاحظته أن هذا التعبير من نسج خيال الشعراء ، فإن كلمة المدد ، لم تظهر إلا بعد وفاة البدوي كما هو واضح ، ولكن شطحات الشعراء ونجلياته ، التي أفاض بها على تاريخ البدوي أكسبته في بعض النواحي غرضاً وإيهاماً لا نعرف له علة ولا سبباً (٣) .

٣ - خلفات البدوي :

وقد ترك البدوي بعد وفاته لخليفته عبد العال نصيبه من الدنيا ، لينال حظاً أسمى ، وجزاء أوفى في الآخرة . ولم يزد هذا النصيب الديني عن عناية

(١) الجواهر : ص ٥ (٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٦

(٣) روى الشعراء عن البدوي كنهياً من المعلومات التي لا تتفق مع كرامته العلية ، ولعلها



مخلفات البدو

- ١- الأجمة - ٢- المشبحة - ٣-
المهراش - ٤- العمامة - ٥- البردة
٦- القميص

وعبادة وقيص ومشط ومسبحة كبيرة ، كلها محفـوظة في مكان خاص بها بالمسجد الأحمدى بطانطا (١) .

ولا يزال خليفته إلى اليوم يلبس العمامة والعباءة في المولد الكبير ، ويقول الشعرانى إن العمامة التى يلبسها الخليفة كل سنة في المولد هى عمامة الشيخ بيده ، وأما البشت الصوف الأحمر فهو من ملابس سيدى عبد العال (٢) . .

٤ - عبد العال الانصارى أول خلفاء البدوى :

كان أول من تولى شئون الفقراء من الأحمدية بعد وفاة البدوى ، عبد العال أو عبد المتعال - كما يسميه على مبارك باشا (٣) . وقد قام بعمله هذا خير قيام ، فكان خير خلف لخير سلف ، وتلقب بالخليفة ، لأنه خلف أستاذه البدوى في تدبير شئون طريقتة التى كثر أتباعها وذاع صيتها . وقد كان لجهود عبد العال فى هذا السبيل ما شجعى على أن أقوم بترجمة حياته ، التى اتصلت بحياة البدوى اتصالاً وثيقاً منذ هبط طنطا .

نشأ عبد العال منذ طفولته بجانب البدوى ، فشب على طاعته ، وتشبع بمبادئه ، واتبع آراءه . ولما كبر اتخذ البدوى الإمام الأيمن ، وهو الذى يلى القطب فى الدرجة مباشرة . ويعتبر مركزه أرقى من الإمام الأيسر وكلاهما بليان القطب : أحدهما عن اليمين وهو المفضل ، والآخر عن اليسار ، وهو

(١) راجع صورها التسمية بالكتاب (٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٧

(٣) الخطط التوقيفية : ج ١٢ ص ٤٥ وعلم الدين : ج ١ ص ١٣٧

أقل من الأول في الدرجة . ويصفهما الخفاجي - نقلا عن المناوي - فيقول :
« والإمامان وزيران للقطب (الغوث) ، أحدهما عن يمينه ونظره إلى
الملسكوت ، وهو مرآة ما يتوجه فيه إلى المحسوسات عن المادة الحيوانية ،
وهو أعلى من صاحبه ، فيخلف القطب إذا مات (١) . »

ويشير إلى ذلك ابن عربي عند وصفه لطبقات الركبان من المتصوفة
فيقول : « وهم على طبقات ، منهم : الأقطاب ، والآئمة ، والأوتاد ، والأبدال ،
والنقباء ، والنجباء ، والرجبيون (٢) ، ومنهم الأفراد (٣) . »

وقد أشار مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية إلى إمامي البدوي فقالوا : « إنه
(أي البدوي) كان يقوم الليل يتلو القرآن ، كما كان يأتهم به إمامان في الصلاة (٤) . »
ومن المسلم به عند الصوفية أن هذين الإمامين هما وزيرا القطب ومساعداه ،
وهما أول طبقات الصوفية بعد القطب ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

ولقد كان عبد العال صورة صادقة لأستاذه البدوي ، فقد أدرك علوم
الطريق ، وتفهم فنون القوم (٥) ، حتى لقد ظهر أثر تلك التريسة الروحية في
حسن سياسته لأهل الطريق ، وفي تنظيمه لشئون الفقراء طول حياته .

وترجع صلة البدوي بعبد العال إلى زيارته لبلدة « فيشا المنارة » (فيشا
سليم الآن) ، إحدى ضواحي مدينة طنطا ، حيث كانت تعيش أسرة عبد العال
الأنصاري التي أعجب بعض رجالها ، وخاصة عبد المجيد أخا عبد العال الأكبر ،

(١) النفحات : ص ٤٤ (٢) هم الصوفية الذين لا يتصرفون إلا في شهر

رجب وسنعود إلى الكلام عنهم في موضوع الموالد الاحدية

(٣) الفتوحات المسكية : ج ١ ص ١٩٩ (٤) المجلد الاول : ص ٤٦٧

(٥) يسمى عامة المتصوفة « القوم » أما من عداهم من الناس فيسمون « الخلق » .



الخليفة بملا بس السيد البدوي
في المولد الكبير

بالبدوى وخيرته ، فبدأت العلاقة بين عبد المجيد ، ثم أخيه الأصغر عبد العال
بهذا الولي العظيم منذ أوائل عهده بطنطا وضواحيها .

ولقد كان من أثر توطيد تلك العلاقة أن شغل عبد العال بأمر البدوى
إلى درجة دفعته إلى محبته والقيام على خدمته ، مع أخيه عبد المجيد ، ورأت
أمه أنها ستحرم رؤية عبد العال فعملت على قطع صلته بالبدوى ، فكانت
تقول : « يا بدوى الشؤم علينا ، وكان البدوى إذا بلغه ذلك يقول : « لو قالت
يا بدوى الخير لكان أصدق (١) » .

وحاولت أم عبد العال عبثاً أن تفصل ابنها عن أستاذه الذى أدرك ما عليه
عبد العال من مخايل النجابة ودلائل الذكاء ، فأخذ يعده لما ينتظره من مستقبل
عظيم ، أقل مافيه أن يخلفه على طريقته من بعده ، وهو الذى لم يتزوج ولم
يعقب نسلاً يعتمد عليه فى حفظ مبادئه وآرائه ، ويشرف على طريقته ،
ويقوم على خدمة قبره وزاويته حتى يظل اسمه خالداً على مر الأيام .

وقد روى عبد الصمد عند تفصيله لأخبار السطوحية تاريخ العلاقات بين
البدوى وأسرة عبد العال فقال : « ومن السطوحية الشيخ الصالح سيدى
عبد المجيد ، آخر سيدى عبد العال ، الخليفة الأعظم لسيدى أحمد البدوى ،
نشأ هو وأخوه فى ناحية فيشا المنارة ، ووقع له ولأخيه مع سيدى أحمد البدوى
أول قدومه إلى طنطا (طنطا) وقائع كثيرة ، وأحبهما وقربهما ، وأخبر
والدتهما أن الشيخ عبد العال هو الخليفة من بعده فى مقامه ، وأما الشيخ
عبد المجيد فكان يتردد على سيدى أحمد البدوى أيام وقوفه على السطح ، ثم

انقطع إلى الله وصحب سيدي أحمد البدوي مدة طويلة ، وتآدب بآدابه وعرف
إشاراته ، وكان لا ينام الليل تبعاً له (١)
وقد استمر عبد المجيد على صلته بالبدوي حتى مات ، وكانت وفاته قبيل
وفاة البدوي بسنوات (٢) ، ودفن ببلدته (فيشا سليم) وله فيها مسجد خاص
لا يزال قائماً بها إلى اليوم
وعندما مات عبد المجيد خلفه أخوه عبد العال في القيام بخدمة البدوي
ومباشرة صحبته ، حتى كان له الإمام الأيمن والوزير الأول . ولم تسلم صلة
البدوي بأسرة عبد العال من القصص والأساطير كغيرها من الموضوعات
المتصلة بتاريخ البدوي .

ومن أشهر تلك القصص قصة اللثامين التي تعلل لنا مقدار تعلق عبد المجيد
بأستاذه البدوي ، ورغبته في تعرف أحواله ، ولو أدى الأمر إلى تقديم روحه
رخيصة في سبيل شغفه بحب الاستطلاع . ولعل الرواة أرادوا أن يربطوا
حادثة وفاة عبد المجيد بنوع من أقاصيص البطولة التي تخلد اسمه كواحد من
أصدقاء البدوي ، وكرجل من رجاله المخلصين ، فعمدوا الموازنة بينه وبين
ابن جلا بطل اللثام القديم ، الذي رددت قصته كتب المؤرخين ، وألسنة
الرواة في عصور مختلفة .

وليست قصة البيضة ، إلا إحدى القصص التي ذكرت لربط العلاقة بين
البدوي وعبد العال برباط روحى ، قصد به التأثير في نفس والد عبد العال
حتى تعترف بقوة البدوي الروحية ، وتطمئن إلى مصير ابنها بين يديه .

(٢) هو صاحب قصة اللثامين التي أثرت إليها سابقاً

(١) الجواهر : ص ١٧

وتتلخص هذه القصة - كما رواها الشعرائي - فيما يلي :

« نزل (البدوي) من السطح ، وخرج إلى ناحية فيشأ المنارة ، فتبعه الأطفال ، فكان منهم عبد العال وعبد المجيد ، فورمت عين سيدي أحمد ؛ فطلب من سيدي عبد العال بيضة يعملها على عينه ، فقال له سيدي عبد العال : وتعطيني الجريدة الخضراء التي معك ، فقال سيدي أحمد : نعم . فأعطاهما له ، فذهب إلى أمه فتألم لها : هنا بدوي عينه ترجعه ، فطلب مني بيضة ، وأعطاني هذه الجريدة ، فقالت : ما عندي شيء . فرجع ، فأخبر سيدي أحمد بما حدث ، فقال له : إذْهَبْ فأتني بواحدة من الصومعة . فذهب سيدي عبد العال فوجد الصومعة قد ملئت بيضاً ، فأخذ واحدة ، وخرج بها إليه (١) . »

في هذا الثوب أخرج لنا الشعرائي قصة « البيضة » ، بخجمات على غرار أقاصيصه التي تفرد باخراجها في حلقات تاريخ البدوي ظاهرة الاضطراب والمبالغة ، فضلاً على أنه صوّر البدوي في صورة بعض مدعى التصوف الذين غلبت عليهم الشعوذة ، وقل الاعتقاد فيهم ، فضربوا في الارض يتلمسون الانصار والاتباع ، ولو كانوا من الأطفال والصبيان (٢) .

ولقد كان عبد العال عند حسن ظن أستاذه به ، فقد خلفه على طريقته ، وظل كذلك حتى مات . ويصف عبد الصمد عهد خلافة عبد العال للبدوي ، نقلاً عن مخطوط للشيخ جمال الدين صبط الحافظ بن حجر ، فيقول :

(١) الجواهر : ص ٧ ، الطبقات : ج ١ ص ٢٤٦

(٢) وتتصل هذه القصة بأخرى نصف نخليس البدوي للطفل عبد العال من الثور الذي حمله

على قرنه (راجع الجواهر : ص ٧ ، الطبقات : ج ١ ص ٢٤٦) .

ولما مات سيدي أحمد البدوي (رضي الله عنه) في يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، تخلف بعده الشيخ الصالح مربي المريدين ، وعمدة السالكين . العارف بالله تعالى ، المعمر ، سيدي عبد العال ، فشيّد أركان البيت (١) ، ورتب الأشاير ، وقصده الناس للزيارة من سائر الأقطار ، حتى توفي يوم السبت المبارك ، الموافق لعشرين خلعت من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة (٢) .

ولقد كانت خلافة عبد العال للأحمدية بوصية من البدوي له . وقد أشار عبد الصمد إلى هذه الوصية رواية عن عبد العال نفسه فقال :
 وفعمرت الزاوية ورتبت فيها الفقراء والمريدين ، كما أشار على البدوي بذلك ، وصرت خليفة من بعده بأذنه لي صريحاً (٣) .

وروى الشمراني أن البدوي ، استخلف بعده على الفقراء سيدي عبد العال فصار سيرة حسنة ، وعمر المقام والمنارات ، ورتب الطعام للفقراء وأرباب العشائر (٤) .

وظل عبد العال في خلافته نحو ثمان وخمسين سنة هجرية ، استطاع في أثنائها أن يوطد أركان الطريقة الأحمدية بعد وفاة عاهلها ، وأن يعمل على إحياء تراث أستاذه لمئين من السنوات التالية .

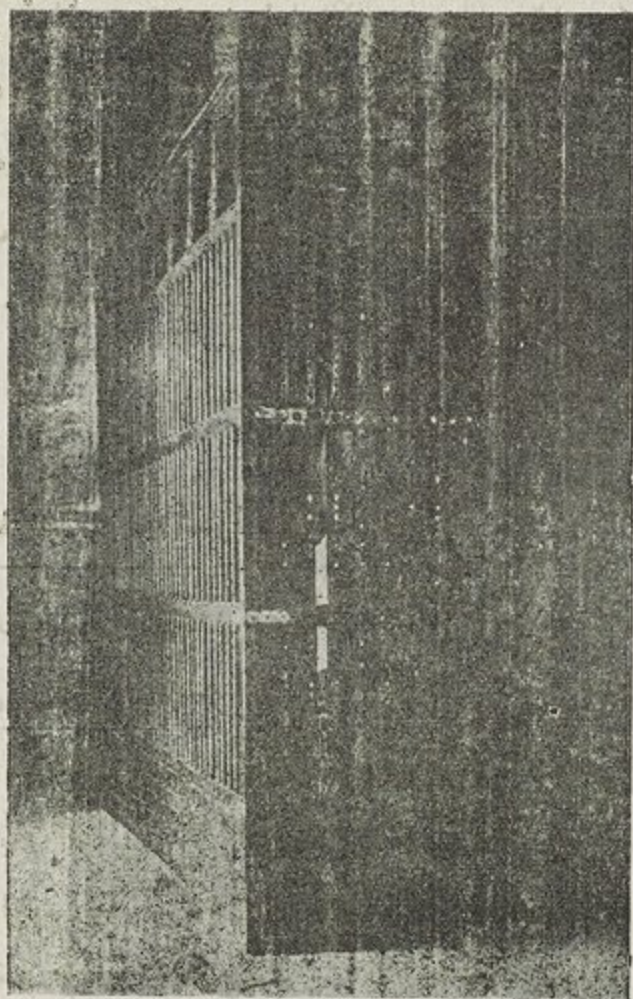
وقد عاصر عبد العال في عهده الطويل تسعة من سلاطين المماليك

البحرية هم :

(١) يقصد زاوية البدوي التي أقامها عبد العال حول قبره ، وكانت نواة لمسجده فيما بعد .

(٢) الجواهر : ص ١٦ . (٣) الجواهر : ص ٥٧ .

(٤) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٧ .



ضريح عبد العال الأنصاري
أول خلفاء البدوي

(1) - ضريح عبد العال الأنصاري في مدينة بغداد

(2) - ضريح عبد العال الأنصاري في مدينة بغداد

الظاهر بيبرس ، في أواخر أيامه ؛ ثم ولداه السعيد بركة خان ، والعاذل
سلامش ، ثم المنصور قلاوون وابناه الأشرف خليل والناصر محمد (للمرة
الأولى) ثم العادل كتيبا ، والمنصور لاجين ؛ والناصر محمد بن قلاوون (للمرة
الثانية) ، ثم بيبرس الثاني ؛ والناصر محمد (للمرة الثالثة) ، وفي عهده توفي
عبد العال بعد أن استمرت خلافته من سنة ٦٧٥ هـ حتى سنة ٧٢٣ هـ
(١٢٧٦ - ١٣٣٣ م) (١) .

٥ - خلفاء البيروني منه أسرة عبد العال :

ولما مات عبد العال خلفه على شئون الأحمدية كثيرون من أسرته (٢) ومنهم :
زين العابدين عبد الرحمن : وهو شقيق عبد العال ، وقد تولى خلافة
الأحمدية بعده مباشرة ، فعمر البيت وقصده الناس للزيارة من كل صوب ،
وتبركوا به ، وأتوا بالتذور ، واستشفعوا به عند الحكام ، وظل كذلك حتى
توفي في الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة ٧٥٤ هـ (١٣٥٣ م) . وقبره
الآن بقبة عبد العال ، وقد سجل عليه اسمه .

وكانت مدة خلافته عشرين سنة وثمانية أشهر ؛ عاصر في أثنائها تسعة من
حكام المماليك البحرية ؛ وهم :

(١) راجع نبت حكام المماليك بآخر الكتاب .

(٢) راجع الجواهر : ص ١٦ وما بعدها ، ونبت الخلفاء . في آخر هذا الموضوع

الناصر محمد بن قلاوون (للمرة الثالثة) ، والمنصور سيف الدين أبو بكر ابن الناصر ، ثم الأشرف علاء الدين كوجة (كجق) ، والناصر شهاب الدين أحمد ، والصالح عماد الدين اسماعيل ، والكامل سيف الدين شعبان ، والمظفر سيف الدين حاجي ، والناصر ناصر الدين حسن (للمرة الأولى) ، والصالح صلاح الدين صالح ، وجميعهم أبناء الناصر محمد بن قلاوون (١) . وقد استمر حكمهم من سنة ٧٠٩ حتى سنة ٧٥٥ هـ (١٣٠٩ - ١٣٥٤ م) .

نور الدين علي : وهو شقيق عبد العال أيضاً ولم يذكر عنه شيء . بلغت النظر ، وكانت وفاته في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) ، في عهد السلطان الظاهر سيف الدين برقوق . وقبر نور الدين إلى جانب قبر أخيه عبد الرحمن بقبة عبد العال ، وقد جدد القبران في عهد الحديو عباس حلي الثاني سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) .

وقد استمرت خلافة نور الدين علي ، نحو خمس وثلاثين سنة هجرية ، عاصر في أثناءها ستة من حكام المماليك البحرية وسابعاً من المماليك البرجية وهم : الصالح صلاح الدين بن الناصر ، والناصر ناصر الدين حسن (للمرة الثانية) ، والمنصور صلاح الدين محمد بن حاجي ، والأشرف ناصر الدين شعبان ، ثم أبناء المنصور علاء الدين ، والمنصور حاجي (٢) . وجميعهم من المماليك البحرية ، أما السابع فهو السلطان برقوق من حكام المماليك البرجية بمصر .

(١) استمر الحكم في مصر في أسرة قلاوون نحو مائة سنة ، وكانت الأسرة الوحيدة التي

احتفظت بنظام الوراثية في أثناء حكم المماليك وقتاً طويلاً

(٢) ويعرف أيضاً باسم (الصالح صلاح الدين) وقد تولى الحكم مرتين .

وقد استمرت مدة هؤلاء الحكام السبعة من سنة ٧٥٢ هـ حتى سنة ٨٠١ هـ (١٣٥١ - ١٣٩٩ م)، كانت في أثنائها مدة خلافة نور الدين علي، فقد تولاهما سنة ٧٥٤ هـ وتركها سنة ٧٨٩ هـ (١٣٥٣ - ١٣٨٧ م).

شمس الدين محمد: تولى بعد أبيه نور الدين علي سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) وظل متربعاً في دست الخلافة الأحمدية حتى توفي في السادس عشر من شهر شعبان سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م)، وذلك في عهد السلطان الأشرف بارسبای. وقد بقيت خلافة شمس الدين نحو ثلاث وخمسين سنة هجرية، عاصر في أثنائها تسعة من حكام المماليك البرجية، وهم:

الظاهر سيف الدين برقوق، والناصر ناصر الدين فرج بن برقوق (للمرة الأولى)، والمنصور عز الدين عبد الظاهر بن برقوق، ثم الناصر فرج (للمرة الثانية)، والمؤيد شيخ المحمودي، وابنه المظفر أحمد، والظاهر سيف الدين ططر، وابنه الصالح ناصر الدين محمد، والأشرف سيف الدين بارسبای.

شهاب الدين أحمد: تولى الخلافة بعد أبيه شمس الدين محمد، سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م)، وظل فيها حتى توفي في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٢ م). وكانت توليته ووفاته في عهد السلطان سيف الدين جقمق، الذي استمر حكمه من سنة ٨٤٢ هـ حتى سنة ٨٥٧ هـ (١٤٢٨ - ١٤٥٣ م) وبذلك كانت خلافة أحمد بن شمس الدين نحو أربع سنوات وأربعة أشهر. زين الدين عبد الكريم: وهو ابن أخى شهاب الدين أحمد بن شمس الدين

محمد، تولى الخلافة الأحمدية سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٢ م)، وظل فيها حتى قتل في شهر صفر سنة ٨٦٢ هـ (١٤٥٨ م).

وقد عاصر ثلاثة من حكام المماليك البرجية ، وهم .
الظاهر سيف الدين جقمق ، والمنصور نحر الدين عثمان بن جقمق ،
والأشرف سيف الدين إينال .

وقد استمر حكمهم من سنة ٨٤٢ حتى سنة ٨٦٥ هـ (١٤٣٨ - ١٤٦١ م) ،
وكانت خلافة عبد الكريم ست عشرة سنة وشهرين ، بدأت في ذى الحجة
سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٢ م) ، وانتهت في شهر صفر سنة ٨٦٢ هـ (١٤٥٨ م) .
ثم تابع الخلفاء على شئون الاحمدية (١) ، وظلوا كذلك زمناً طويلاً
اضطربت فيه أحوال الخلافة ، وخاصة في الفترة الأخيرة من حكم المماليك
البرجية ، التي استمرت من سنة ٨٦٢ حتى سنة ٩٢٣ هـ (١٤٥٨ - ١٥١٧ م) .
وفي تلك الفترة ساد الظلم الديار المصريه ، وانتشرت الفوضى في أنحائها ،
وتدهورت الحالة الاقتصادية ، نظراً لانقطاع مرور التجارة بأرض مصر ،
ومرورها بطريق رأس الرجا الصالح الذي كشف سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٨ م) .
فضلاً عما فرضه السلطان قانصوه الغورى من الضرائب الباهظة التي أرهقت
الاهالى وأثقلت كواهلهم .

وكان آخر خلفاء الاحمدية في تلك الفترة ، محمد ، المعروف بالأيض ،
وهو الذى خرج مع السلطان الغورى لمحاربة سليم الاول العثمانى سنة ٩٢٢ هـ
(١٥١٦ م) ؛ وقد توفى في حلب في أثناء تلك الحروب (٢) .

ثم احتقرت الخلافة الاحمدية أخيراً في بيت الخليفة ، ولا تزال فيه حتى
الآن ، وهي قسمة بين الخليفين السيد أحمد كامل البهى ، والسيد مصطفى أمين

(١) راجع نهج خلفاء الاحمدية بهذا الكتاب . (٢) الجواهر : ص ١٦

الخليفة ، ويرجع نسبهما إلى عبد العال الأنصارى الخليفة الأول للبندوى ، كما هو مبين في سلسلة الخلفاء المواجهة لهذا السلام (١) .

٧ - عمود الخلفاء بالطعام :

كان لخلفاء البندوى منزلة خاصة في نفوس بعض معاصريهم من حكام المماليك ، فكانوا يسرون في مواكبهم الدينية جنباً إلى جنب مع كبار علماء الدين في الدولة (٢) .

وقد زار بعضهم قبر البندوى للتبرك ، بل منهم من عني بزائريته فاضاف في بنائها ، وخاصة السلطان سيف الدين قايتباي من المماليك البرجية ، (٨٧٣ - ٩٠١ هـ = ١٤٦٨ - ١٤٩٦ م) ، الذي كان كثير الإعجاب بأحمد ، حتى لقد زار قبره سنة ٨٨٨ هـ (١٤٩٢ م) ثم وسع مقامه فيما بعد (٣) .

ولما آل حكم مصر إلى الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) ، تغير مركز البندوى وخلفائه بتغير الهيئة الحاكمة ، وبصف ذلك مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية فيقولون :

« أما في عهد الحكم العثماني فيظهر أن الاحتفال بالبندوى قد فقد روعة مظاهره لأنها لم تكن تتفق مع الأنظمة الصارمة التي وضعها الأتراك .

(١) اعتمدت في ترتيب هذه السلسلة على ما عرضه على السيد أحمد كامل البهي أحد الخلفاء الحاليين من مستندات ووثائق رسمية محفوظة لديه .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الأول ص ٤٦٨ .

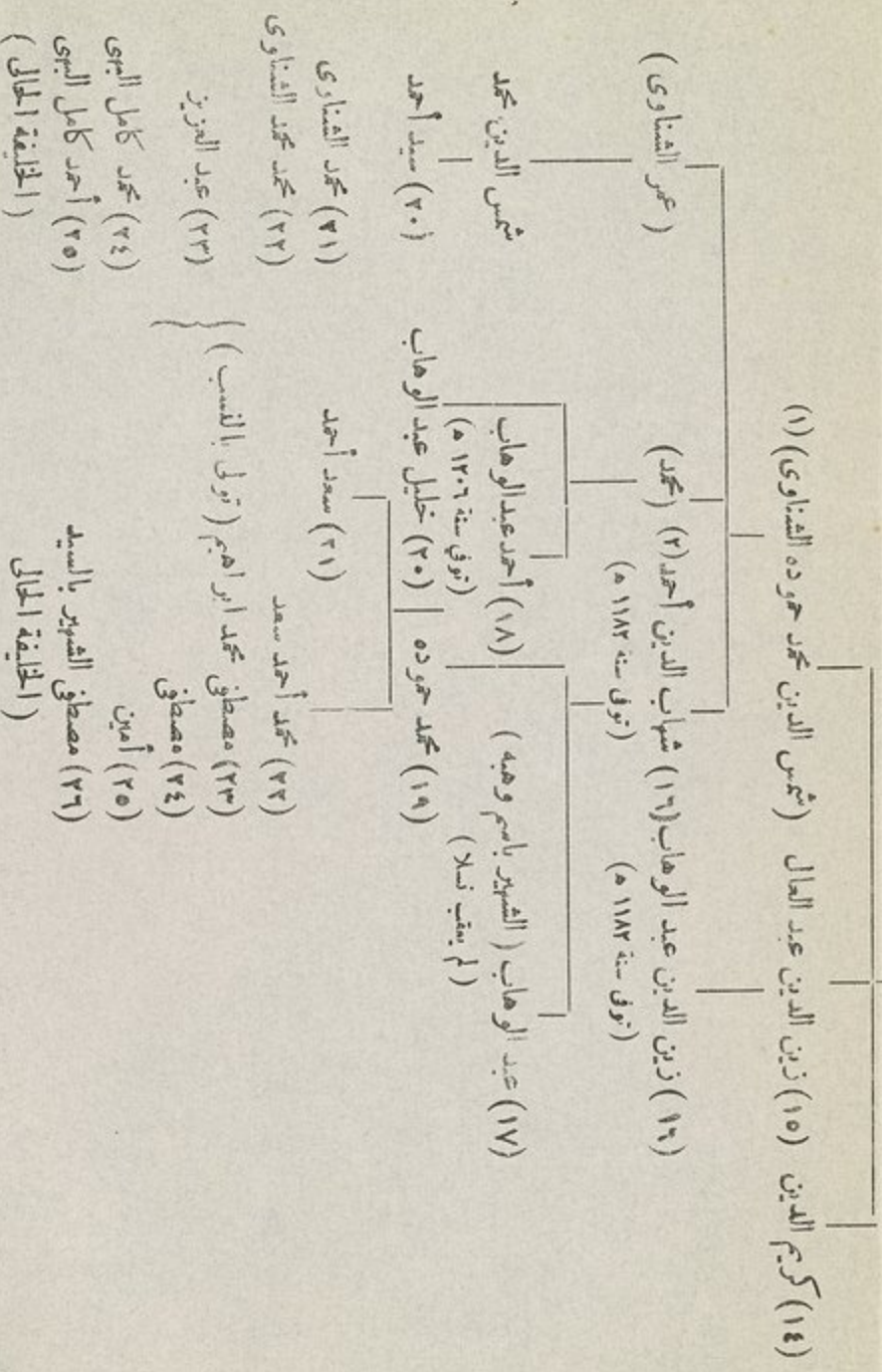
(٣) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الأول ص ٤٦٨ ، قلا عن ابن أبيس : ج ٢ ص ٢١٧ .

٦ - خلفاء السيد أحمد البدرى مة وقت وفاته حتى الوقت الحاضر

(٦٧٥ - ١٢٦٧ هـ = ١٢٧٦ - ١٩٤٨ م)

- (١) عبد المال الانصارى : (١٦٧٥ - ٥٧٣٣)
 (٢) زين الدين عبد الرحمن : (٧٣٣ - ٥٧٥٤)
 (٣) نور الدين على أبو محمد : (٧٥٤ - ٥٧٨٩)
 (٤) شمس الدين محمد : (٧٨٩ - ٥٨٤٢)
 (٥) شهاب الدين أحمد : (٨٤٢ - ٥٨٤٦)
 (٦) زين الدين عبد الكريم : (٨٤٦ - ٥٨٦٢)
 (٧) جمال الدين سالم

- (٨) برهان الدين إبراهيم (٩) شمس الدين محمد (توفي سنة ٥٩٢٢ هـ)
 (الشهير بالأيض)
 (١٠) عبد الكريم (٩٢٢ - ٥٩٦٩ هـ)
 (١١) عبد المجيد (٩٦١ - ٥٩٦٥ هـ)
 (١٢) أحمد الأحدي
 (١٣) كريم الدين



- (١) نزل الاسماء الموضوعة بين الاقواس على أن أسمائها لم يتولوا الخلافة الاحدية .
 (٢) يدل تسكرار الرقم على أن الخلافة الاحدية تولاها اثنتان فى وقت واحد أو فى أوقات متتالية .

ولكن هذه النظم السياسية لم تستطع أن تحول دون تقديس المصريين له ،
فهو أكبر أولياء مصر ، ومفرج كل الكروب منذ عهد طویل (١) .
إلا أن العهد العثماني بمصر مالبث أن امتاز بحركة عامة لإحياء مخلفات
البدوى من مؤلفات وأبنية ، فكتب الشيخ عبد الصمد زين الدين ، داعي
الحضرة الأحمدية ، كتابه الجواهر السنية في النسبة والكرامات الأحمدية ،
وفرغ من تأليفه سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) ، وهو من أقدم وأحسن ما كتب
عن تاريخ البدوى ، وله نسخة خطية بالمكتبة الأحمدية الملحقة بمسجده
بطنطا (٢) .

وكذلك شرح عبد الرحمن عيدروس ، صلوات ، البدوى في كتاب سماه
«فتح الرحمن» ، وقد أشير إليه من قبل ، وكان ذلك بين سنتي ١١٣٥ و ١١٩٢ هـ
(١٧٢٢ - ١٧٧٨ م) .

وقد توج هذا العهد بجهود على بك الكبير فيما بين سنتي ١١٨٢ و ١١٨٦ هـ
(١٧٦٩ - ١٧٧٣ م) ، فقد أصلح بناء الزاوية الأحمدية ، وبني القساب التي
لا تزال شاهدة على ذلك حتى اليوم ، كما أنه نظم الأضرحة وبني السبل ، ورتب
الأوقاف وزاد فيها .

ولا تزال جهود على بك ناطقة فيما نقش على ضريح البدوى من سلسلة
النسب المقرونة بسنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٣ م) ، وهي السنة التي توفي فيها على بك ،

(١) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الاول ص ٤٦٨
(٢) ولهذا الكتاب أيضاً نسخة مطبوعة بدار الكتب العامة بلدية طنطا ، وهو أيضاً
أول المراجع التي أشارت إليها دائرة المعارف الإسلامية في موضوع (أحمد البدوى)

وتسبقها سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٩ م) على ضريح عبد العال ، وهي المسنة التي أعلن فيها على بك استقلاله بمصر عن السلطان العثماني .

ولعله فعل ذلك تقرباً للأحمدية وأتباعهم حتى يعاونوه في حركته السياسية ضد الخليفة العثماني ، حينما شق عليه عصا الطاعة ، وخلع عن مصر سلطانه . ويظهر أن جهود على بك لم تقف عند إحياء المخلفات الأحمدية ، بل تعدتها إلى القائمين بأمرها ، فقد روى على مبارك باشا أن على بك منع أسرة الخادم من العمل بالمسجد والسكنى بالبلدة (طنطا) ، بعد أن أخذ منها أموالاً طائلة ونالت أسرة الخادم على يديه عذاباً أليماً ، وخلفتها أسرة الحاج حسن عبد المعطي (١) .

ولكن أولاد الخادم سرعان ما عادوا إلى مرا كزهم بعد وفاة على بك ، إلا أنهم لم يهتشوا بالعودة إلى سابق عهدهم زمناً طويلاً ، إذ ما لبثت مصر أن خضعت لحكم الفرنسيين سنة ١٣١٢ هـ (١٧٩٨ م) ، فعاد الاضطهاد إلى أسرة الخادم طمعاً فيما كان لدى أفرادها من مال لا ينفد ، كما كان يعتقد الفرنسيون لأنهم كانوا ملتزمين بالبلدة ، وقد اشتهروا بالغنى والثروة (٢) .

غير أن الأمور استقرت بمصر بعد خروج الفرنسيين منها سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) ، وزاد استقرارها بعد أن اعتلى العرش محمد على باشا مؤسس الأسرة العلوية السكرية ، فعنى جل أعضائها عناية مشكورة بأمر البدوي وآثاره بما سنينه في الفصل الثاني عشر .

الفصل الحادي عشر

الموالد الأحمديّة

١ - أصل الموالد :

الموالد أعياد ومواسم دينية تقام في مواعيد معينة لإحياء الذكرى ، أو الاحتفال بعيد الميلاد (المولد) ، ولما كانت وفاة البدوي يوم الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الثاني عشر من ربيع الأول ، فقد ارتبط إحياء ذكرى وفاة البدوي بمولد النبي ، وسمى الحادث منذ ذلك اليوم « مولدآ » . وسار الحال على ذلك في السنوات التالية ، ولولم يكن الموعد واحداً . وقد أطلقت كلمة « الموالد » ، إطلاقاً عاماً على ما يقام للأولياء من أعياد ومواسم تقليداً لما سبق الأخذ به بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

وليس هذه الموالد أو المواسم مظهرأ جديداً للإسلام ، بل هي قديمة بقدم الإنسان ، فقد كان لقدماء المصريين أعياداً ومواسم مختلفة الأوقات والأغراض ، يحضرها الملك أو من ينوب عنه من أسرته ، وعن المصريين القدماء أخذ اليونان نظام تلك المواسم والأعياد ؛ وظهرت عندهم فيما يعرف « بالألعاب الأولمبية » . وعن اليونان نقل الرومان نظام أسواقهم التي كانت شبيهة بمواسم اليونان وأعيادهم (٢) .

(١) راجع الجواهر : ص ٤٥ ، والخطط التوثيقية : ج ١٣ ص ٤٥ ، وعلم الدين : ج ١ ص ١٣٩

(٢) علم الدين : ج ١ ص ١٤٣

وكان يقام بعض هذه الأعياد بمصر في عصرها القديم مرة كل ثلاثين سنة ، وكان يحصل لمن تقع في زمنه من الفراعنة فخر عظيم ، وكان يصدر عن الناس في هذه المواسم كثير من الفحش والفجور والمنكرات ، مما انتقل بعضه إلى العصور الوسطى والحديثة في مثل تلك المناسبات .

وقد انتقلت هذه المواسم إلى المسيحية ثم الإسلام بأشكال اختلفت باختلاف العصور والأغراض ، إلا أنها حافظت ، رغم مرور الزمن ، على بعض الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي لا تزال باقية حتى الآن كما كانت منذ آلاف السنين .

٢ - أنواع الموالد الصحريّة :

كانت تقام للبدوى ثلاثة موالد وهى : الكبير والصغير والرجي ، ثم ألغى الصغير وبقي الآخران (الكبير والرجي) ، يعقد كل منهما في موعده . وهما كم طرفا من كل من الموالد الثلاثة (١) :

المولد الكبير : وهو أكبر الموالد وأعظمها شأنًا ، ويرجع حدوثه إلى أن أتباع البدوى حضروا إلى طنطا (طنطا) ، عندما علموا بوفاته ، للقيام بواجب العزاء . وكان ذلك في ربيع الأول سنة ٦٧٥ هـ (أغسطس ١٢٧٦ م) ، ولما كانت البلدة لا تتسع لجموعهم فقد ضربوا خيامهم خارجها حيث يقام المولد

(١) أفانز في وصف هذه الموالد على مبارك في الخطط التوجيهية : ج ١٣ ص ٤٥ - ٥١

الكبير كل سنة ، وقد بقي هؤلاء الأتباع بطنطاً ثلاثة أيام . ولما أرادوا الرحيل شيعهم عبد العال ، خليفة البدوى ، وعند ذلك قالوا له : هذه عادة مستمرة نحضر هنا كل سنة في هذا الميعاد ، إن شاء الله ، إلى ما شاء الله ، واستمرت هذه العادة ، فنشأ المولد الكبير وكانت مدته ثلاثة أيام ، ثم صارت ثمانية ، كما تغير ميعاد هذا المولد من أغسطس إلى أكتوبر من كل سنة .

وينتهى هذا المولد بحفل كبير في آخر يوم منه ، حيث يخرج الخليفة لتوديع الأتباع ، كما كان يفعل عبد العال ، أول خلفاء البدوى . ويعرف هذا الحفل باسم « ركة الخليفة » ، وتعتبر إيذاناً بنهاية المولد (١) .

المولد الصغير : وكان يعرف باسم « مولد الشرنبلالى » ، نسبة إلى الشيخ الشرنبلالى أحد مشايخ الطائفة الأحمدية ، وقد حضر مع أتباعه وتلاميذه في غير وقت المولد الكبير ، وأمضوا بعض الوقت في إقامة الأذكار والعبادات ثم اتخذوا ذلك عادة يقرمون بها كل سنة . وكان حضورهم للزيارة في شهر مارس ، بدء الربيع ، حيث كان العرب قد اعتادوا الخروج للرعى كل سنة في ريف مصر . إلا أن هذا المولد ما لبث أن تغير مواعده فصار يعقد في شهر يونيه من كل سنة ، وذلك بعد الانتهاء من موسم حصاد القمح . ولما كان هذا الموعد يتفق مع وقت مقاومة دودة القطن ، فقد رُئى إلغاؤه .

المولد الرجبي : ويعرف أيضاً بمولد « لف العمامة » ويرجع حدوثه إلى زيارة أحد مشايخ الأحمدية بالحلة الكبرى لضريح البدوى بطنطاً لتجديد العمامة الموضوع علىه ، وقد أحضر معه مقداراً كافياً من الشاش الأخضر لهذا الغرض

(١) وهذه المناسبة اشتهر المثل السائر (ركب الخليفة وانقض المولد)



ركبة الخليفة في المولد الكبير

وقد صحبه في هذه الزيارة جماعة من المشايخ والمريدين والفقراء ، وصار ذلك عادة ، فتجدد العمامة كل عام في هذا المولد .

أما تسمية هذا المولد ، المولد الرجبي ، فقد يكون نسبة إلى أحد مشايخ الأحمدية الذي حضر من المحلة الكبرى لتجديد العمامة وهو الشيخ رجب ، أو نسبة إلى شهر رجب الذي حدثت فيه تلك الزيارة لأول مرة - كما أعتقد - خاصة وأن شهر رجب من الشهور المقدسة عند العرب منذ الجاهلية ، فهو أحد الأشهر الحرم ، وكان بعض العرب في الجاهلية يعتقدون أن الدعوة لا تجوز على عدو إلا في شهر رجب ، ولذلك كانوا يرجئون دعواتهم إلى هذا الشهر ، ولقد أبقى الإسلام على ما لهذا الشهر من فضائل ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمي » (١) . وفي هذا الشهر أيضاً حملت آمنة بنت وهب بمحمد صلى الله عليه وسلم في ليلة الخميس الأول منه ، وفي ليلة السابع والعشرين منه أسرى بالنبي إلى الملاء الأعلى فكان ذلك إكراماً من الله له ، وإعزازاً لأمره في هذا الشهر المبارك . ويعرف هذا المولد أيضاً باسم « الرجبية » وقد يرجع ذلك إلى أن المشايخ الذين حضروا لتجديد العمامة ينتمون إلى طائفة « الرجبية » إحدى طوائف المتصوفة ، وهم أولئك الذين لا يصدر عنهم شيء إلا في شهر رجب ، الذي إليه يفسبون (٢) .

وقد يكون مرجع التسمية إلى الرغبة في التشبه بالزيارة « الرجبية » للمسجد الحرام بالحجاز .

(١) الفتنية : ج ١ ص ١٩٤

(٢) راجع الفتوح المسكية : ج ١ ص ١٩٩ والنفحات : ص ٤٤ والفتنية : ج ١ ص ١٩٤

وقد تغير موعد هذا المولد من شهر رجب إلى فبراير من كل سنة ، كما حدث للمولد الكبير ، وكان هذا التغير أمراً محتوماً لأن الموالد قد صارت بمضى الزمن أسواقاً تجارية يجب أن تنفق أوقاتها مع مواسم الإنتاج الزراعى وأنظمة الري ، فيحدث المولد الكبير في نهاية الموسم الصيفى للزراعة (أكتوبر) بينما كان يقام المولد الرجبى فى الموسم الشتوى (فبراير) ، ثم تغير مواعده أخيراً فصار فى أبريل ، وخاصة بعد إلغاء المولد الصغير .

وعلى نظام الموالد الأحمدية تقام موالد أخرى لزعماء المتصوفة فى مصر كبارهم الدسوقي ، الذى تقام موالده عادة بعد انتهاء موالد البدوى . ولغيرهما أيضاً تقام الموالد فى مواعيد مختلفة ، مما يدل على أنها صارت تقليداً صوفياً لما كان يحدث فى الماضى مع ملاحظة الظروف والأحوال المستحدثة .

٣ - أغراضه الموالد :

ولهذه الموالد على اختلاف أنواعها أغراض عدة ، منها :
الغرض الدينى : وهو أساسها الأول وهدفها الحقيقى ، وخاصة بالبلاد المصرية التى نشأ فيها عدد كبير من الأولياء والدعاة ، الذين انتهى أمر أكثرهم إلى التصوف السنى ، فلا نكاد نرى صقماً من أصقاع البلاد إلا وفيه قبة لولى أو قبر لمتصوف ، أو ضريح لتابع لأحدهما ، ولكل منزلته بين أتباعه ومريديه . ولقد كان دأب هؤلاء المتصوفة جمع الأتباع والمريدين الذين دخلوا فى طاعتهم ، وتعلقوا بأهدابهم ، ودرجوا على احترامهم فى الحياة وبعد الممات ، رائداهم فى ذلك الإخلاص والطاعة .

رضام بهم ورحول الخليفة في آخر أيام المولد الكبير



وكانت تعتبر الموالد اجتماعات دورية للتأباع والمريدين يتدارسون فيها شئونهم ، وما يتصل بطريقتهم من أمور تهتمهم ، ويتنافسون في إظهار درجة إخلاصهم لشيخهم أو خليفته من بعده ، والكل يسارع إلى فعل الخير لايرجو جزاء ولا شكوراً ، كما كانت تجمعهم الصلوات والأذكار ، ونفوسهم راضية وقلوبهم مطمئنة ، يفيض خيرهم على الفقراء من أحيائهم الذين انقطعوا للعبادة بين الزوايا والخوانق .

ولقد كان لذلك أثره الحسن عندما عمّ الفقر البلاد ، وغشيتها ظلمات الحكم المستبد في عصور المماليك ، وولاية العثمانيين زمناً طويلاً . أما وقد تغير نظام الحكم بمصر منذ عهد محمد على الكبير ، فقد خفت وطأة الفقر ، وانقطعت المجاعات ، وامتنعت الأوبئة والأمراض الفتاكة ، واتجهت العناية بطبقات الشعب إلى أسس جديدة ، فانتشر التعليم ، وتحسنت الحالة الاقتصادية وبدأت بوادر الوحدة القومية والسياسية لمصر الحديثة ، واتجهت الأنظار إلى غايات وأهداف جديدة تنفق وتطور الثقافة في العصر الحاضر ، فكان لذلك أثره في تغيير وجهات النظر نحو هذه الموالد .

الغرض الاقتصادي : وللموالد أيضاً قيمة اقتصادية عظيمة ، فهي أسواق تجارية يروج فيها تبادل السلع ، وتصريف الحاصلات ، وشراء ما يحتاج إليه الإنسان مما ليس له مثيل في بلده ، فضلاً عما تدره من الأرباح الوفيرة على سكان الجهة التي تقوم بها .

ويصف على مبارك باشا ما كان يحدث بطنطا في أيامه في وقت الموالد الكبير - وهو صورة لما يحدث الآن إلى حد ما - فيقول (١) : في هذا الموالد

ما لا يخفى على أحد من المزايا والمنافع ، كمنفعة من يكتري منهم الدواب أو المراكب أو سكة الحديد للمضى إليه والانصراف منه ، ومنفعة من يكون من الفراشين والطباخين ، وغيرهم من أرباب الحرف والصنائع ، وأصحاب الدور التي تسكتري ، والأشياء التي تشتري ، وما يكون فيه من سعة التجارة فإننا نرى كثيراً من التجار في طمطا وغيرهم من سائر مدن مصر يعلقون أداء دينهم وقضاء بعض شئونهم على هذا المولد ، وينتظرون لهذا الموعد لكثرة ما يكون فيه من البيع والشراء والاخت والعطاء ، فينتفع البائع بشمن ما يبيعه والشارى بما يشتريه ، والكثير من أهل القرى ينتظرونه لشراء بعض ما يلزمهم في أثناء السنة بما لا يوجد في جهاتهم ، أو ما يفضل عن حاجتهم من دابة أو محصول زراعة أو غير ذلك ، فهو سوق كسائر الأسواق العامة التي توجد في جميع أقاليم الدنيا في البلاد الإسلامية وغيرها .

ومن المحاصيل الزراعية التي تروج تجارتها في موالد السيد البدوي بصفة خاصة « الحمص » ، وهو من البقول التي اشتهرت مصر بزراعتها منذ عهد بعيد وكانت تجارتها رائجة في عصور مختلفة ؛ فقد روى المقرئى والقلقشندي عن ابن المتوج « أنه عدّ في طريق بين القسسطاط وجامع ابن طولون أكثر من ثلثمائة وتسعين قدراً للحمص المصلوق ، سوى المقاعد والحوانيت التي بها الحمص (١) » .

وقد صار من التقاليد على مر الأيام أن يشتري زوار المولد الحمص ، ولا يجب أحدهم أن يقال له إنه عاد من المولد بغير حمص . وليس هذا التقليد

(١) المواعظ والاعتبار : ج ٢ ص ١٣١ ، وصيغ الاعشى : ج ٣ ص ٣٣٧

وليد الموالد ، بل إن تقديس المحص الأخضر يرجع إلى أقدم العصور ، وقد نقلته لنا الأساطير ، وحرص الناس في مصر على احترام تلك الأساطير ، فلا يزال بين الدهماء من يعتقد أنه لا بد من شراء المحص الأخضر (الملائة) ليلة شم النسيم ليذهب عنهم التكاسل ، وتلك أسطورة قديمة ترمز إلى تقديس بعض المحاصيل الزراعية عند قدماء المصريين وغيرهم من أهل الصين .

وقد كانت لعناية الفاطميين بالمواسم والأعياد ، وما كان يُعبد لها من أنواع الحلوى وبخاصة القاهرية منها ، أثر في إدخال المحص في صناعتها ، فصارت كما نراها الآن من اختلاف في الأنواع والأشكال .

ويظهر أن الفاطميين قد قلدوا سابقيهم من أهل مصر في ذلك ، إذ كانت من عاداتهم العناية بأنواع الطعام والشراب في أعيادهم : كعيد الميسلاد وعيد الغطاس ؛ وعيد الفصح ، وعيد الشهيد ، وغيرها من الأعياد التي اشتهرت بين المسيحيين ، وقد قلد الجميع المصريين القدماء فيما اعتادوا القيام به في مواسمهم وأعيادهم الدينية ، كتقديم القرابين من اللحوم والفتائر والحلوى على شكل تماثيل ، تقديساً لها وتبركاً بها (١) .

الغرض الاجتماعي : تقام الموالد عادة لإحياء ذكرى الأولياء والمنصورة الذين كرسوا حياتهم لنشر مبادئهم وآرائهم الصوفية بين أفراد الشعب ، الذين أهملت الحكومة أمر تربيتهم وتشقيفهم .

لذلك ترك بعض هؤلاء الزعماء الدينيين الشعبيين أثراً عظيماً في نفوس أتباعهم ، لما كانوا يبذلونه في سبيل تعليمهم أصول دينهم ، وحدود الأخلاق

(١) علم الدين : ج ١ ص ١٣٩ وما بعدها .

فيهم ، فالتفوا حولهم ، وقدروهم حق قدرهم ، في حياتهم وبعد مماتهم ، فأقاموا لهم الزوايا والقباب ، ووقفوا عليها المال تخليداً لأسمائهم ورفعاً لشأنهم .
وما أشد حاجتنا في عصرنا الحاضر إلى تدعيم تلك المبادئ السامية ؛
ولذا كاه روحها الطيبة ؛ في شكل يلائم مثلنا العليا الحالية ؛ فيشب الأفراد وقد
أشربت روحهم حب التضحية ، ومرتوا على حسن التقدير ، واستطاعوا
التمييز بين الغث والسمين .

لذلك كانت الموالد وسيلة لرياضة الجسم والعقل ، والترفيه عن النفوس
من عناء العمل المتواصل ، فإن النفوس البشرية إذ دام عليها الشغل ، واتصل
السكد والعمل ، يلحقها السأم والسكرال والملل ، فلا بد من ترويحها في بعض
الاحيان لتعود لحالة نشاطها (١) .

وتلك كانت وسيلة هامة في ذلك السبيل ؛ ولا سيما في وقت لم تعرف فيه
وسائل التسلية الحديثة كالحياة (السينما) والمنتديات والمتنزهات وغيرها .
وإذا كانت تغشى الموالد طبقة من الأغنياء والموسرين للمتعة والترفيه ،
كذلك كانت تظهر طبقات من البائسين والمحتاجين الذين يعيشون على مايجود
به أهل البر والاحسان من مال وغذاء وكساء ، فضلاً عما كان يعده الاتباع
والمريدون من أنواع الحيوان الذي كان يذبح ليأكل منه الاخوان والفقراء
ويذهب جلها أو كلها برأ وصدقة .

وتلك وسيلة من وسائل تنظيم الاحسان بطريقة تقليدية ، وتوزيع الصدقات
في أوقات ثابتة منظمة كثيراً ما كانت تعالج بعض ما يقاسيه الشعب في عصر

الممالك والعصر العثماني من بؤس وشقاء ، بل لا يزال المجتمع المصري في أشد الحاجة إلى مثل هذه الوسائل لمعالجة الفقر والمرض .
ومن التقاليد المتبعة الآن أن تقوم وزارة الأوقاف في مولد البدوي الكبير بتوزيع الأموال واللحوم والحلوى على الفقراء ، وهي سنة حميدة إذا اتخذت صبغة الدوام في شكل نوع من مطاعم الشعب ، أو ملاجئ العجزة والأيتام ، التي تنشأ وينفق عليها من أموال الأوقاف وبعض النذور التي يبلغ متوسط إيرادها الشهري نحو ألف من الجنيهات ، وهو تقدير متواضع لما يجبي من أوقاف البدوي بطنطا ، وما يجمع من نذور كل شهر ، يزيد زيادة محسوسة في أوقات الموالد والمواسم الدينية (١) .

٤ - محاولة إبطال الموالد :

ولقد كانت الموالد ، كمثل مظهر من مظاهر الحياة ، لا يكاد يبلغ أشده ، ويؤتي ثمره ، حتى تغتوره علامم الانحلال ، وتمتد إليه أيدي البلى ، وتتسابه عوامل الفناء ، وتلك سنة الله في أرضه .

بدأت موالد البدوي ثلاثة ، وبقيت حافظة لكثير من مظاهر قوتها زمنياً طويلاً بدون تغيير ، اللهم إلا في الموعد الذي ارتبط بالشهور الشمسية ،

(١) للسيد البدوي أوقاف عدة في جهات مختلفة بالقطر المصري ، ويبلغ متوسط إيراد أوقافه بمدرسة الغربية نحو عشرة آلاف جنيه في السنة . أما النذور فلها نظام خاص توزع بمقتضاه أموال صندوق النذور كلما فتح .

ومواسم الري والزراعة وجمع الضرائب .

وعلى مر الزمن تطورت الآراء والأفكار الدينية والسياسية لعوامل طارئة ، فتطورت معها الموالد وما كان يتصل بها من مظاهر دينية واجتماعية ، فحاول بعض حكام المماليك ، كالمسلطان الظاهر سيف الدين جقمق إلغائها ، وقد تم له ذلك سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) ، بعد أن رفض الشيخ يحيى المناوى أن يوافقه على الإفتاء بإبطال المولد (١) .

ولقد تعرض الشعرا في أسباب إلغاء الموالد وعوامل انحلالها في كتابه « لطائف المنن » ، تعرضاً دل على توفيق عظيم في وصفه للحالة الاجتماعية بمصر في القرن العاشر الهجري ، حيث قضى الشعرا في زهرة حياته (٢) .

ونستطيع أن نستنتج مما ذهب اليه الشعرا في هذا الوصف الممتنع ، بعض نواحي الانحلال نحو إبطال الموالد ، فقد اعتمد أنصار الإلغاء في عهد الظاهر جقمق على أن الموالد صارت مهبطاً لارتكاب المحرمات ، وموطناً لانتشار الفسق والفجور ، وجمعاً للمنافقين والمرائين الذين اتخذوا التصوف وطرائقه ستاراً لاختفاء أطماعهم المحرمة من سرقة ونهب وتهتك وخلاعة . وكان ذلك نظراً طبيعياً أدت إليه حالة البلاد السياسية والاجتماعية في عصر المماليك ، وخاصة في القرنين التاسع والعاشر للهجرة ، حيث شاع الفدر ، وفشت الخيانة ، وساد النفاق صفوف المماليك طمعاً في الحكم ، ورغبة في الحصول على صولجان الملك . وهو ما لا يستقيم معه عبادة ولا إيمان ، والناس على دين ملوكهم .

(٢) ولد الشعرا في سنة ٨٩٨ هـ وتوفي سنة ٩٧٣ هـ

(١) الجواهر : ص ٤٦

لهذا نادى بعض الحكام والسلاطين ، ومن لاذ بهم من أصحاب الرأى فى الدولة ، بضرورة إلغاء الموالد ، حتى يقضى على ما يقوم بها من الفحش والفجور . وقد أشار ابن إياس ، مؤرخ عصر المماليك الشهير ، فى تاريخه إلى ذلك فى غير موضع (١) .

ولكن المماليك ومن جاء بعدهم من ولاة العثمانيين نسوا أنهم هم أساس الفساد وموطن الداء ، وحق عليهم قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فىنا وما لزماننا عيب سوانا

وهناك سبب آخر اقتصادى لا يقل شأنًا عن سابقه الاجتماعى ، يعلّل إلى حد كبير ، الرغبة فى إلغاء الموالد التى فقدت بالفعل كثيرًا من مظاهر رونقها وروعيتها ، وذلك أنه فى أواخر عهد السلطان محمد بن قايتباى تم للبرتغاليين كشف الطريق إلى الهند بالمرور حول رأس الرجاء الصالح فى جنوب إفريقيا سنة ١٤٩٨ هـ (١٤٩٨ م) ، ففقدت مصر بذلك أكبر مورد لثروتها ، وأهم عامل فى غناها ورفاهيتها ، لأنها كانت قبل هذا الحادث طريقاً لمرور التجارة بين الشرق والغرب ، وكانت تجنى من وراء ذلك - حكومة وشعباً - أموالاً طائلة ، انقطع سيلها دفعة واحدة منذ أوائل القرن العاشر الهجرى ، وأواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، وهو الوقت الذى بدت فيه الرغبة فى إلغاء الموالد .

وزاد الطين بلة والحالة سوءاً ، أن لجأ السلطان الأشرف قانصوه الغورى إلى فرض ضرائب باهظة على مختلف طبقات الشعب ، فى وقت حرمت فيه

تلك الطبقات ثمرات تجارة المرور ، فزاد ذلك في فقر الشعب وبؤسه وشقائه .
ونج عن ذلك نقص في الأموال وانتشار الفقر ، فعجز الناس عن حضور
الموالد وإعداد الذبائح لها والوفاء بالنذور ، ففقدت الموالد روعتها تبعاً لذلك .
أما العامل الثالث الذي كان أقوى أثراً من سابقه ، فهو انتشار الفتن
وكثرة الحروب داخل مصر وخارجها ، وقد شغلت تلك الفتن والحروب
الحكام عن إصلاح أحوال الرعية ، فضلاً عن تأثر أفراد الشعب بما انتشر
بين الطبقة الحاكمة من صفات الغدر والخيانة والنفاق ، حتى ضعف إيمانهم
وتسلط الخوف من الحكام ، وأصبح دأبهم الظهور بغير الحقيقة .
ويصف الأستاذ أحمد أمين بك ما وصلت إليه حالة البلاد عامة ، وحالة
المتصوفة خاصة فيقول (١) :

« وهكذا كرن الصوفية مملكة باطنية وراء المملكة الظاهرية ، اتخذوا فيها
مملكة المهدي ، وغيروا ألفاظها ، وكلوا نظامها ، وكلها سبغ في الخيال ، وجري
وراء أوهم - كلها شعر - ولكن ليس شعراً لذيذاً ، بل هو شعر أفسد على
الناس عقائدهم وأعمالهم ، وأبعدهم عن المنطق في التصرف في شؤون الحياة ،
وقعد بهم عن المطالبة بإصلاح الحكم وتحقيق العدل ، فكانوا يهيمون في
أودية من الخيال ، والحكم يهيمون في أودية الفساد ، وكأنهم تواضعوا على
ذلك ، فالحاكم يفسد ، والشعب يحلم ، وحالة الأمة تسوء .

فلا عجب إذا انحطت العقلية المصرية ، وسيطرت عليها الخرافات

(١) فجر الاسلام : ج ٣ ص ٢٤٦

والأساطير ، كما ضعفت الروح الدينية الصادقة ، وانحلت روابط الأخوة بين الجماعات والفرق ، وأصبحت موارد البلاد نهباً لمن يدفع لها أغلى ثمن .
وقد ساعد على ذلك الانحلال الاجتماعى ، ما ظهر بمصر من الانحلال السياسى فى أواخر العصر العثمانى عند ما عاد نفوذ المماليك الأمراء إلى الظهور ، وصارت البلاد مسرحاً للتنافس بينهم ، كما كانت فى عهد سابقيهم فى القرون الماضية .

ولم ينقذ مصر من هذه الفوضى إلا على بك الكبير الذى مهد الطريق وأضاء السبيل لمنشئ مصر الحديثة محمد على الكبير رأس الأسرة العلوية السعيدة ، الذى أنشأ البلاد خلقاً آخر ، ووضع أساس نهضتها الحاضرة .

الفصل الثاني عشر

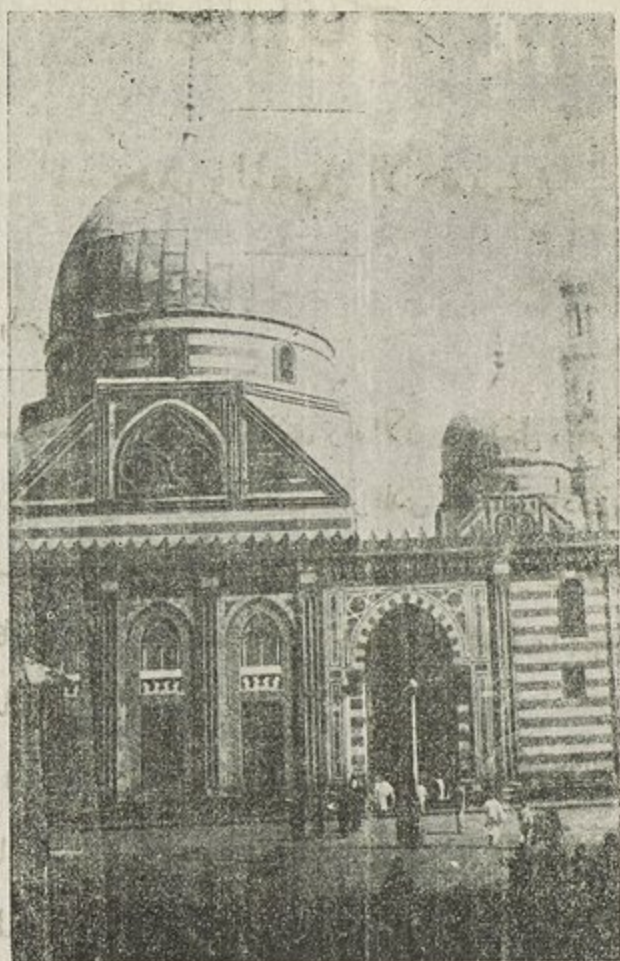
المسجد والمعهد الأحمدي

١- نشأة المسجد الأحمدي :

بدأ المسجد الأحمدي العظيم ، الذي نراه الآن ، في شكل خلوة ، بناها عبد العال ، أول خلفاء البدوي ، بجانب القبر الذي بناه لأستاذه في المكان الذي كان يسكنه ، كما كانت عادة كثير من الأولياء في مصر في ذلك العصر ، وهذا المكان هو منزل ابن شحيط الذي كان يقع في الطرف الجنوبي الغربي لتل عال صار فيما بعد داخل المسجد (١) .

ثم تحولت هذه الخلوة إلى زاوية ، للأحمدية ، بناها عبد العال بإشرافه ، وبني لها المنارات والقباب ورتب بها الطعام للفقراء ، فكانت مهبط المريدين ومحط رجال الزائرين من كل فج . وظلت هذه الزاوية على حالتها زمن عبد العال طوال عهد الحكام التسعة الأول من المماليك البحرية . ولما تولى السلطان سيف الدين قايتباي ، وسع المقام الأحمدي ، وعنى بالزاوية ، ومنذ ذلك الحين كثرت الأوقاف الخاصة بالزاوية الأحمدية ، فكانت من أهم أسباب بقائها وتحسين بنائها .

(١) ولا يزال أثر هذا التل ظاهراً خلف المسجد حيث أنشئت عليه المنازل



الجانِبُ الجنوبي (القبلي)
للمسجد الاحمدي

وما لبثت الزاوية أن صارت مسجداً فخماً بفضل علي بك الكبير (١١٨٢) -
 ١١٨٦ هـ (١) فقد بنيت ثلاث قباب : كبراهما للبدوى ، والقبعة الغربية
 لعبد العال ، والشرقية للشيخ مجاهد ، شيخ المسجد في عصر علي بك .
 وقد صنعت حول ضريح البدوى مقصورة من النحاس نقش عليها سلسلة
 نسيبه ، وبجولت في نهايتها سنة ١١٨٦ هـ إشارة إلى أن ذلك قد تم في عهد علي بك .
 ولم تقف جهود علي بك عند ذلك ، بل أوقف أوقافاً جمّة ، تعتبر من أهم
 الموارد المالية للمسجد حتى الآن ، كما أنه بنى « سبيلا » خارج المسجد في الجهة
 الجنوبية ، وقد نقل هذا السبيل إلى مكان قريب من مكانه الأول ، ولا يزال
 به حتى الآن .

أما مقصورة عبد العال فمصنوعة من الخشب المطعم بالصدف ، ويقال
 إنها كانت للبدوى من قبل ، وقد نقش على بابها النحاس أبيات من الشعر
 يثبت آخر شطر منها تاريخ إنشائها وهو سنة ١١٨٢ هـ ، وذلك بحمص باب
 حروف الجمل (٢) .

ويظهر أن عناية علي بك بالبدوى ومسجده قد بدأت قبل إعلانه
 الاستقلال بمصر عن السلطان ، لأنه أراد أن يهيئ أذهان الشعب لقبول فكرة
 الانفصال عن السلطان ، خليفة المسلمين ، وأن يمهّد السبيل لخضوعهم لأمره ،
 ودخولهم في طاعته ، ولم يجد من يعاونه على بلوغ مآربه إلا المنتصوفة وأتباعهم ،

(١) هذه الفترة هي فترة حكم علي بك من وقت إعلان استقلاله بمصر حتى وفاته (١٧٦٩ -
 ١٧٧٣ م) .

(٢) هذا الشطر من البيت الأخير هو : (هذا عزيزاً باب قطب الرجال) .

والأولياء ومن بقي على عهدهم ، فلمهم ما ليس لغيرهم من السلطان والنفوذ في قلوب عامة الشعب ، لذلك كان على بك كريماً في معاملتهم ، سخياً في عطائهم ، مجيئاً لمطالبهم مهما عزت ، بما لا يزال أثره باقياً حتى الآن .

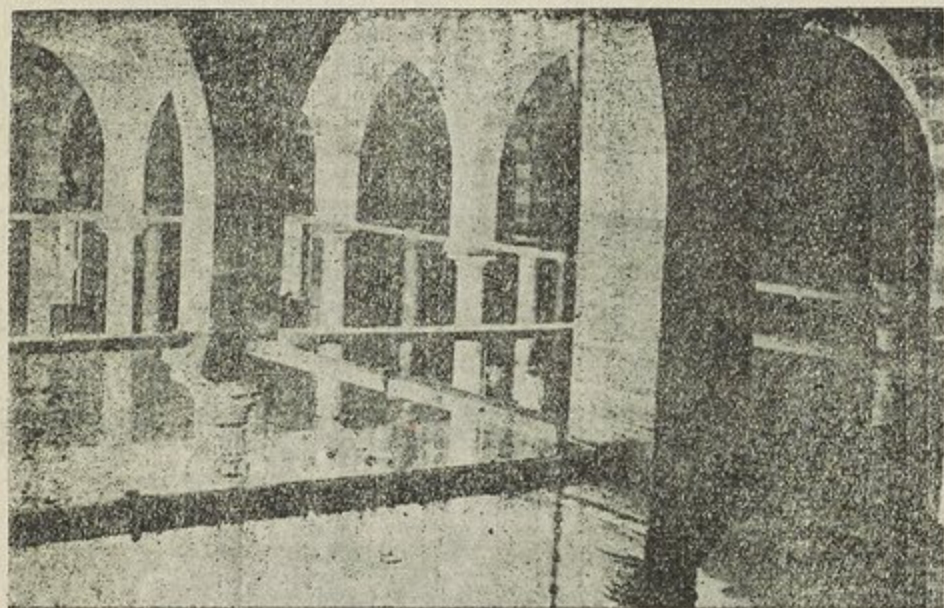
٢ - أُر الأسرة العلوية الكريمة في تجديد المسجد :

ولقد نال المسجد الاحمدى بعد عهد على بك الكبير عناية حكام مصر من رجالات الأسرة العلوية ، فأضافوا وجددوا فيه كثيراً ، وكان أول المجددين منهم للمسجد المغفور له ، عباس باشا الأول ، الذى اتصلت جهوده بالمسجد الاحمدى مرتين :

الأولى : عندما عين مديراً للغربية لأول مرة ؛ بعد نقل عاصمتها من المحلة الكبرى إلى طنطا سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) ، فعنى عباس باشا إذ ذاك بطنطا عامة ومسجد البدوى خاصة .

والثانية : عندما تولى عباس باشا عرش مصر بعد وفاة عمه ابراهيم باشا القائد الأعظم سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) فآتم ما بدأه من قبل في تجديد المسجد الاحمدى ، وصنع في عهده المنبر الفاخر الذى اشتهر بحسن تصميمه ، ودقة صنعه ، وجمال منظره ؛ وكذلك زيدت مساحة المسجد من الداخل ؛ وصفت فيه أعمدة من الرخام المصرى يبلغ عددها ٥٨ عموداً .

ولا تزال هذه الجهود ناطقة بأحرف بارزة في أعلى الباب الجنوبي (القبلى) للمسجد حيث كتبت العبارة الآتية :



المسجدُ الأحمدي من الداخل

« أنشئ هذا المسجد المبارك في عهد خديو مصر عباس باشا الأول
سنة ١٢٦٧ هـ . »

وفي عهد خلفه المغفور له « محمد سعيد باشا » نظمت القراءات بالمسجد ،
وأوقفت الأوقاف لذلك خاصة ، وقد أشار الظواهري إلى ذلك فقال :
« وللمرحوم سعيد باشا آثار بالمسجد خالدة ، من أهمها المقرأة السعيدية
التي ساعدت على بقاء ميزة الجامع الاحمدى المشهورة ، وهى توفر القراء ،
والعناية بالقرآن (١) . »

ويشير الظواهري كذلك إلى جهود المغفور له « خديو مصر الأكبر
إسماعيل باشا » فى تحسين مدينة طنطا والمسجد الاحمدى فيقول :
« للمرحوم إسماعيل باشا جهود مشكورة ، ومبرات ماثورة ، فأوجد
أسباب الرقى وال عمران فى مدينة طنطا إكراماً للسيد البدوى (٢) . »
ويثبت ذلك ما رواه على مبارك باشا عن مدينة طنطا فى عصر إسماعيل
باشا حيث يقول (٣) :

« ولما أنعم الله تعالى على هذه الديار بجلوس الخديو إسماعيل باشا على
عرشها ، شمل تلك المدينة (طنطا) بعنايته ، وخصها برعايته ، وأكثر ما بها
الآن من دور الحكومة والطرق الرئيسية من عهد إسماعيل باشا ، وكان له
مكان خاص ينزل فيه عندما يزور طنطا ، وقد زار السيد البدوى عدة مرات .
أما المسجد الاحمدى فى ذلك العصر فيصفه على مبارك باشا فيما يلى :

(٢) المرجع السابق

(١) مذكرة الظواهري : ص ٢٢

(٣) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٥

« هو أعظم مساجد طنطا شأنًا ، ولا يفوقه في التنظيم ، وحسن الوضع والعمارية من المساجد إلا القليل ، وهو في وسط البلد تقريباً ، تحيط به أربعة شوارع ، وفي ضلعه القبلي مقام قطب الأقطاب سيدى أحمد البدوى (رضى الله عنه) ، وعلى ضريحه مقصورة من النحاس الأصفر فى أحسن شكل ، وقبة عالية مثل قبة الامام الشافعى ، وبداخله مقام تليذه سيدى عبدالمتعال ، ومقام سيدى مجاهد وله أربع منارات فى زواياه الأربع ، اثنتان كاملتان واثنتان مزيج تكميلهما ، وله سبعة أبواب ، وتبلغ مساحته فداناً ونصف الفدان (١) . »

ويطابق هذا الوصف ما عليه حالة المسجد الآن تقريباً ، غير أن المنارات (المآذن) الأربع لم يتم منها إلا اثنتان فقط ، بل إن صغراهما هدمت ولم تبقى إلا قاعدتها فى الضلع الجنوبى الشرقى للمسجد .

ولما تولى عرش مصر المغفور له الخديو عباس حلى الثانى ، اتجهت عنايته إلى المسجد الاحمدى ، فأتم تحسينه وقوى بقبائه ، وجدد قبر نور الدين ، وعبد الرحمن ، من إخوة عبدالعال وخلفائه ، وذلك سنة ١٣١٥ هـ .

ويرجع إليه الفضل الأول فى تنظيم وسائل التعليم بداخل المسجد وخارجه وكانت جهوده فى هذا السبيل إتماماً لما بدأه الخديو إسماعيل ، كما سندكره فى حديثنا عن المهدى الاحمدى .

وقد نجحت عناية الخديو عباس بمدينة طنطا فى زيارته لها ثلاث مرات : كانت الأولى فى جمادى الآخرة سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) ، أما الثانية فكانت

في شعبان سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م)، وكانت الثالثة في جمادى الآخرة سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).

أما جهوده في تحسين المسجد الاحمدى فقد أشارت إليها العبارة المكتوبة بأعلى الباب الجنوبي، وهذا نصها:

« وقد تم تحسينه وتقوية مبانيه في عهد خديوى مصر عباس حلى الثانى، أدام الله أيامه، سنة ١٣٢٠ هـ ».

وفي عهد المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول زاد المسجد الاحمدى رونقاً وبهاءً، فقد أزيلت المباني التى كانت تحيط به، وحلت محلها طرق متسعة على النظام الحديث، فضلاً عن تنظيم داخل المسجد والعناية بمراقبته.

ومما يذكر لجلالته بالحمد والثناء صدور أمره الكريم بوضع سور حديدى حول الحجر القائم بالزاوية الجنوبية لقبة البدوى، حتى لا يلجأ الزوار إلى لمسها أو ثمة لأن ذلك من المظاهر الوثنية (١).

وقد زار جلالته طنطا والمسجد الاحمدى أكثر من مرة، وكان يولى سدنة المسجد ورجال العلم به وبالمعهد الاحمدى أكبر رعايته، وأعظم عنايته وفي عهده أدخلت الانظمة الحديثة في التعليم بالمسجد والمعهد، إتباعاً لسياسته في نشر التعليم المدنى عامة والدينى خاصة.

ولقد سار صاحب الجلالة مولانا الفاروق، حفظه الله، سيرة سابقيه

(١) ليس لهذا الحجر تاريخ واضح، ويظهر أنه قديم بقدم القبة، لأن أحد المالك أرسل أحد رجاله من موضعه، ولكنه لم يفعل. ويقال أن هذا الحجر يمثل قدم النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه قد حفرت عليه قدم انسان.

في العناية بشئون المسجد الأحمدى ، فشرفه بزيارته الميمونة مرتين منذ توليه الحكم . فقد كانت الزيارة الأولى يوم الجمعة الخامس من ربيع الثانى سنة ١٣٩٠ هـ (٢ مايو سنة ١٩٤١ م) ، أما الثانية فكانت فى الرابع عشر من ذى القعدة سنة ١٣٦٢ هـ (١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٣ م) .

وقد نال المسجد من عطفه السامى الكريم ما كان له أثره فى زيادة العناية به ، فوضعت فى أرجائه الفسيحة مكبرات للصوت حتى يسهل على المصلين سماع الامام والخطيب ، وخاصة وقت صلاة الجمعة ، وفى الأعياد والمواسم الدينية ، وفى وقت المولد عند ما يشتد الزحام ، وتمتلئ جنبات المسجد بالزائرين من كل جهة .

وقد نظمت القراءة بالمسجد فى أيام الجمع ، وكذلك نشطت حركة الوعظ والارشاد ، ولا تزال الأيام تتبثنا بما هو أعم فائدة وأعظم أثراً ، إن شاء الله ، فى عصر الفاروق الزاهر .

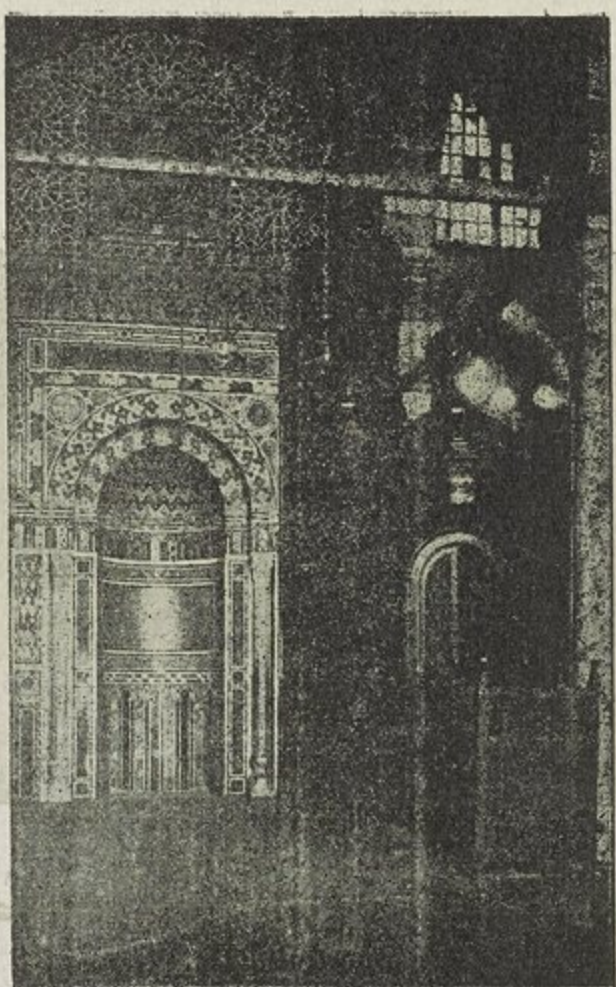
.....

٣ - تفائس المسجدين :

بالمسجد الأحمدى بعض التفائس الثمينة منها :
الشجرة النبوية الشريفة : أهداها أحد أعيان الأتراك ، فصنع لها صوان خاص بها ، بقبة عبد العال ، بين قبرى نور الدين وعبد الرحمن .

مخلفات البدوى : وقد أعد لها مكان خاص بها ، وقد أشرت إليها من قبل .

المنبر . وقد صنعه أحد المصريين صناعة دقيقة جعلت منه قطعة فنية



المنبر والمحراب بالمسجد
الأحمدى



قاعة المطالعة بالمكتبة الملحقة بالمسجد الأحمدي

بمكتبة المسجد الأحمدي
تقديم

رائعة من الفن العرب الجميل ، وبجانبه محراب فاخر صنع صنعا متقنا في عهد الخديو عباس حلى الثانى .

المكتبة الاحمدية : وقد أنشئت في عهد الخديو عباس حلى الثانى سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) ، وبها نحو ستة آلاف مجلد ، منها نحو ألف وثلثمائة مخطوط ، كتب بعضها بأقلام الدردير ، والعطار ، وابن قاسم ، والورقانى ، وغيرهم من رجال العلم والفقه الاسلامى .

وبالمكتبة أيضاً كثير من المراجع العلمية الشهيرة ، كشمس العلوم ، فى الفقه ، وكتاب الامدى ، فى الاصول ، وكشف الامرار ، فى المنطق . ومن القطع الفنية الرائعة التى تحويها المكتبة الاحمدية لوحتان متوسطتا الحجم كتبت عليهما جميع سور القرآن الكريم بخط واضح ، وذلك غير المجموعات المختلفة من كتب الفقه الشافعى ، والمصاحف الاثرية النفيسة .

•••••

٤ - التعليم وطريقته بالمعبر الاحمرى :

أما قيمة المسجد الاحمدى التعليمية فعظيمة ، إذ كان هذا المسجد مدرسة من أعظم مدارس التعليم الدينى بعد الأزهر ، ولذلك سمي الأزهر الثانى ، كما أنه من أشهر المزارات المقصودة ، ومن أكبر المساجد الجامعة بالديار المصرية .

ويرجع تاريخ وجود التعليم فى هذا المسجد إلى أوائل القرن التاسع الهجرى (أو آخر الرابع عشر الميلادى) ، حيث وجد فى بعض وثائق المسجد

المؤرخة سنة ٨١٤ هـ ما يؤخذ منه أن هذا المسجد كان به بعض طلبة العلم (١) ويصف على مبارك باشا حالة التعليم في المسجد الاحمدى في عصره ، فيقول (٢) : « وله في تدريس العلوم شبه بالجامع الأزهر ، فقيه نحو أئني طالب غير المدرسين ، ولهم شيخ كشيش الأزهر ، وقد تداولت مشيخته قديماً وحديثاً جملة وافرة من أجلاء العلماء وفضلائهم » .

وكانت طريقة التعليم بالمسجد الاحمدى قبل عهد الخديو عباس حلى تسير على نظام الحلقات ، كما كان الحال بالأزهر ، ومساجد مصر والحجاز والعراق ، ثم أنشئت المدارس وألحقت بالمساجد على شكل أروقة للمذاهب الأربعة ، كما كان يفعل صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه ، إلا أن ذلك لم يكن يلائم أنظمة التعليم في العصر الحاضر .

لذلك رتب النهوض بالتعليم في المسجد حتى يساير الانظمة الحديثة قدر المستطاع ، فجعلت له ميزانية خاصة ، ووضع له نظام للتعليم شبيه بنظام الأزهر ، وذلك سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) ، وبمقتضى هذا النظام الجديد عقدت امتحانات للطلبة . وسجلت أسماءهم في سجلات خاصة ، ورتب لهم نظام للسكنى شبيه بنظام الأروقة بالأزهر ، وعين شيخ للإشراف على طلبة كل جهة .

أما الإدارة العامة للتعليم بالمسجد فقد وضعت تحت إشراف هيئة إدارية تتألف من شيخ الجامع ، ولجنة عليية ، ومشايخ الأروقة ، وقد عملت الإدارة الجديدة برئاسة الشيخ ابراهيم الظواهري (٣) على إحياء الأوقاف المنسثرة ،

(١) مذكرة الظواهري : ص ١٧ ، ١٨ (٢) الخطط التوقفية : ج ١٣ ص ٤٦

(٣) هو والد المرحوم الشيخ محمد الاجدي الظواهري الذي كان شيخاً للمعهد الاحمدى ثم شيخاً للأزهر

حتى تزيد مواردها المالية .
وبعد وفاته صدر قانون آخر بنظام جديد سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٧ م) ،
وعين الشيخ محمد الرفاعي المحلاوى شيخاً للجامع الاحمدى . يشرف على تنفيذه ،
ولكنه لم يلبث في منصبه طويلا ، خلفه الشيخ محمد حسين العدوى ، الذى
جاهد في سبيل تطبيق النظام الجديد ، وقد تم له ما أراد على أكمل وجه (١) .
وكانت من أهم نتائج هذا النظام تصفية الطلبة على حسب كفاياتهم العلمية
واستعدادهم للدراسة ، ثم تحويل طلاب الفرق العليا إلى طلاب نظاميين ،
وفوق ذلك فقد زيدت رواتب العلماء وأجريت عليهم الجرايات ، إلى غير
ذلك من ضروب الإصلاح المتشعبة التى توطدت بها دعائم النظام الحديث فى
ذلك المسجد الكبير (٢) .

٥ - المعمر الأزهرى :

غير أن تقدم التعليم وتطور طرق التدريس ، وإدخال العلوم الحديثة
فى مناهج الدراسة ، ورغبة رجال الدين فى الأخذ منها بنصيب ، وإقبال الطلبة
على تلقى العلم حتى ضاقت بهم رحبات المسجد ، كل ذلك دفع الشيخ العدوى إلى
اقتراح بناء معهد للعلم يقرم مقام المسجد ، فرفع فى أواخر سنة ١٣٢٦ هـ مائتاً
بذلك إلى سمو الخديو عباس حلى الثانى ، فتقبل سموه هذا الاقتراح بتام
الارتياح ، وأصدر أمره الكريم إلى ديوان الأوقاف بتنفيذه ، فصدع بالأمر

(١) السياسة والأزهر : ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) كانت هذه الأنظمة مقدمة لإصلاح الأزهر والمعاهد الدينية إصلاحاً شاملاً ، وأول

القوانين النظامية لذلك قانون سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

مديره الحازم أحمد شفيق باشا ، ووضع الحجر الأول من أساسه في ١٢ من
صفر سنة ١٣٢٩ هـ (١١ فبراير ١٩١١ م) ، وكان تمام الطبقة الأولى منه مع
معدات التعليم ، في أواخر رمضان سنة ١٣٣١ هـ ، (١) .

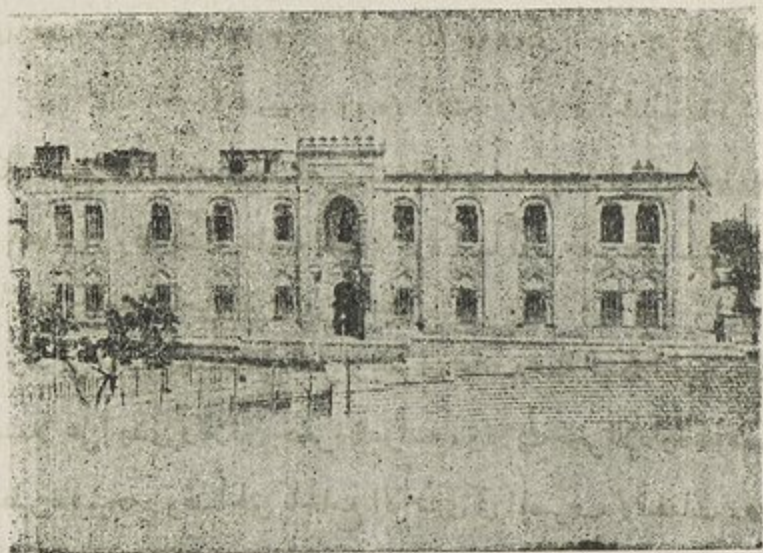
وقد تسلمته مشيخة الجامع الاحمدى للتدريس به في يوم الخميس ٢٣ من
ذى القعدة سنة ١٣٣١ هـ (٢٣ أكتوبر سنة ١٩١٣ م) وفي جمادى الآخرة
من السنة التالية (١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م) ، افتتحه رسمياً سمو الخديو عباس حلمي
وكان الشيخ محمد الاحمدى الظواهري شيخاً للمعهد الجديد منذ أوائل سنة ١٣٣٢ هـ
(١٩١٤ م) . وقد كتب بمناسبة تلك الزيارة كتباً أجمل فيه ترجمة السيد البدوي
وتاريخ الجامع والمعهد الاحمدى بطنطا .

وقد بنى المعهد الجديد على الطراز العربى بجانب محطة السكة الحديد بطنطا
مشمئلاً على إحدى وثلاثين حجرة للدراسة ، وثلاث حجر للإدارة ، ومسجد
ومطهرة فسيحة . وقد ألحق بالجامع الاحمدى فى المضرف والنفقات ، وهو
الآن تحت إشراف الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة .

وقد بدأت الدراسة بالمعهد الجديد لطلبة القسم الابتدائى ، وبقيت الأقسام
الآخري بالمسجد إلى عهد قريب ، حتى نقل القسم الابتدائى إلى مكان آخر ،
وجعل المعهد للقسم الثانوى فقط ، أما الأقسام العليا فقد اختص بها الأزهر
نفسه بالقاهرة .

ومنذ ذلك الحين امتنعت الدراسة بالمسجد ، وأصبح خاصاً بالعبادة ، وإحياء
الذكرىات الدينية المجيدة ، كمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وليلة الاسراء ، وليلة
النصف من شعبان وغيرها . كذلك يؤمه الزوار كل يوم من كل فج ، وتزيد
جموعهم فى الموالد زيادة عظيمة وخاصة فى المولد الكبير

(١) مذكرات الظواهري : ص ٣٥ ، والسياسة والأزهر : ص ١٥٤



الجانب الأمامي للعهد الأحمدي
،، الديني،، بطنها

ثبت أحكام مصر من الأيوبيين والمماليك^(١)

(أولا) ثبت أحكام الأيوبيين ،

(٥٦٧ - ٦٤٨ هـ = ١١٧١ - ١٢٥٠ م)

رقم سجل	أسماء الحكام	التاريخ الهجري		التاريخ الميلادي		ملاحظات
		من	إلى	من	إلى	
١	صلاح الدين يوسف بن أيوب	٥٦٤	٥٦٧	١١٦٩	١١٧١	مدة الوزارة
٢	العزیز عثمان بن صلاح الدين	٥٨٩	٥٨٩	١١٧١	١١٩٣	السلطنة
٣	المنصور بن العزيز عثمان	٥٩٥	٥٩٦	١١٩٨	١١٩٩	بوصاية العادل أيوب
٤	العادل سيف الدين أبو بكر	٥٩٧	٦١٥	١٢٠٠	١٢١٨	« عمه الأفضل والظاهر
٥	الشامل بن العادل	٦١٥	٦٣٥	١٢١٨	١٢٣٨	وهو العادل الأول
٦	العادل أبو بكر بن الكامل	٦٣٥	٦٣٧	١٢٣٨	١٢٤٠	هو العادل الثاني وقد حضر البدوي في عهده إلى مصر
٧	الصلاح نجم الدين بن الكامل	٦٣٧	٦٤٧	١٢٤٠	١٢٤٩	توفي بوقت سنة ١٢٤٩ م
٨	العظيم توتان شاه بن الصالح	٦٤٧	٦٤٨	١٢٤٩	١٢٥٠	قتل في مايو ١٢٥٠ م
٩	الملكة أم خليل شجرة الدر	٦٤٨	-	١٢٥٠	-	استمر حكمها من مصر إلى رمضان سنة ٦٤٨ هـ
١٠	الأشرف موسى بن المنصور يوسف ابن المنصور بن الكامل	٦٤٨	-	١٢٥٠	-	تولى في شوال ثم خلع نفسه بعد قليل في نفس العام

(١) مرجعنا في ذلك : السلوك ، والمراعي والاعتبار للمقرئ ، وتاريخ مصر

في العصور الوسطى للذبول ، وعدد المقتطف (سبتمبر ١٩٣٧) ، وتاريخ

دولة المماليك في مصر للسير ولیم مویر .

(ثانياً) ثبت حكام مصر من المماليك البحرية

(٦٤٨ - ٥٧٨٤ = ١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)

رقم مسل	أسماء الحكام	التاريخ الهجري		التاريخ الميلادي		ملاحظات
		من	إلى	من	إلى	
١	الملك شجرة الدر	٦٤٨	-	١٢٥٠	-	
٢	المعز الدين أيك التركماني	٦٤٨	٦٥٥	١٢٥٠	١٢٥٧	
٣	المنصور نور الدين علي بن أيك	٦٥٥	٦٥٧	١٢٥٧	١٢٥٩	
٤	المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧	٦٥٨	١٢٥٩	١٢٦٠	
٥	الظاهر بيبرس البندقداري	٦٥٨	٦٧٦	١٢٦٠	١٢٧٧	توفي البدوي في عهده
٦	السعيد بركة خان بن بيبرس	٦٧٦	٦٧٨	١٢٧٧	١٢٧٩	
٧	العادل سلامش بن بيبرس	٦٧٨	-	١٢٧٩	-	استمر حكمه ٤ أشهر
٨	المنصور سيف الدين قلاوون	٦٧٨	٦٨٩	١٢٧٩	١٢٩٠	
٩	الاشرف خليل بن قلاوون	٦٨٩	٦٩٣	١٢٩٠	١٢٩٣	
١٠	الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٣	٦٩٤	١٢٩٣	١٢٩٤	المرّة الأولى لحكمه
١١	العادل زين الدين كتبغا	٦٩٤	٦٩٦	١٢٩٤	١٢٩٦	
١٢	المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦	٦٩٨	١٢٩٦	١٢٩٨	صاحب التقسيم الإداري المعروف بالروك الحسامي
١٣	الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٨	٧٠٨	١٢٩٨	١٣٠٨	المرّة الثانية لحكمه
١٤	المظفر بيبرس الجاشنكير	٧٠٨	٧٠٩	١٣٠٨	١٣٠٩	وهو بيبرس الثاني
١٥	الناصر محمد بن قلاوون	٧٠٩	٧٤١	١٣٠٩	١٣٤٠	المرّة الثالثة لحكمه

(تابع) ثبت أحكام مصر من الممالك البحرية

رقم مسل	أسماء الحكام	التاريخ الهجري		التاريخ الميلادي		ملاحظات
		من	إلى	من	إلى	
١٦	المنصور أبو بكر بن الناصر	٧٤١	٧٤٢	١٣٤٠	١٣٤١	
١٧	الأشرف كوجيه د	٧٤٢	-	١٣٤١	-	ويعرف أيضاً باسم كجق
١٨	الناصر أحمد د	٧٤٢	٧٤٣	١٣٤١	١٣٤٢	
١٩	الصالح اسماعيل د	٧٤٣	٧٤٦	١٣٤٢	١٣٤٥	
٢٠	الكاظم شعبان د	٧٤٦	٧٤٧	١٣٤٥	١٣٤٦	
٢١	المظفر حاجي د	٧٤٧	٧٤٨	١٣٤٦	١٣٤٧	
٢٢	الناصر حسن د	٧٤٨	٧٥٢	١٣٤٧	١٣٥١	المرّة الأولى لحكمه
٢٣	الصالح صالح د	٧٥٢	٧٥٥	١٣٥١	١٣٥٤	
٢٤	الناصر حسن د	٧٥٥	٧٦٢	١٣٥٤	١٣٦٠	المرّة الثانية لحكمه
٢٥	المنصور محمد بن حاجي	٧٦٢	٧٦٤	١٣٦١	١٣٦٣	
٢٦	الأشرف شعبان بن حسين	٧٦٤	٧٧٨	١٣٦٣	١٣٧٦	
٢٧	المنصور علي بن شعبان	٧٧٨	٧٨٣	١٣٧٦	١٣٨١	
٢٨	الصالح حاجي بن شعبان	٧٨٣	٧٨٤	١٣٨١	١٣٨٢	المرّة الأولى لحكمه
-	-	-	-	-	-	-
٢٩	(الصالح حاجي بن شعبان) (المنصور حاجي)	٧٩١	٧٩٢	١٣٨٩	١٣٩٠	المرّة الثانية لحكمه في عهد الظاهر برقوق من البرجينة

(ثالثاً) ثبت حكام مصر من المماليك البرجية

(٧٨٤ - ٨٩٢٣ = ١٣٨٢ - ١٥١٧ م)

رقم سلسل	أسماء الحكام	التاريخ الهجري من إلى	التاريخ الميلادي من إلى	ملاحظات
١	الظاهر سيف الدين برقوق	٧٨٤	٨٠٩	١٣٨٢
٢	الناصر فرج بن برقوق	٨٠٩	٨٠٨	١٣٩٩
٣	المنصور عبد العزيز بن برقوق	٨٠٨	-	١٤٠٥
٤	الناصر فرج بن برقوق	٨٠٩	٨١٥	١٤٠٥
٥	المؤيد شيخ الحمودي	٨١٥	٨٢٤	١٤١٢
٦	المظفر أحمد بن شيخ	٨٢٤	-	١٤٢١
٧	الظاهر سيف الدين ططر	٨٢٤	-	١٤٢١
٨	الصالح محمد بن ططر	٨٢٤	٨٢٥	١٤٢١
٩	الأشرف بارساي	٨٢٥	٨٤٢	١٤٢٢
١٠	الظاهر جقمق	٨٤٢	٨٥٧	١٤٣٨
١١	المنصور عثمان بن جقمق	٨٥٧	-	١٤٥٣
١٢	الأشرف إينال	٨٥٧	٨٦٥	١٤٥٣
١٣	المؤيد أحمد بن إينال	٨٦٥	-	١٤٦١
١٤	الظاهر خورشيد	٨٦٥	٨٧٢	١٤٦١
١٥	الظاهر يلباي	٨٧٢	-	١٤٦٧

استمر حكمه من أكتوبر
إلى ديسمبر

(تابع) ثبت أحكام مصر من الممالك البرجية

رقم سجل	أسماء الأحكام	التاريخ الهجري		التاريخ الميلادي		ملاحظات
		من	إلى	من	إلى	
١٦	الظاهر تيموربغا	٨٧٢	٨٧٣	١٤٦٧	١٤٦٨	ويعرف أيضاً باسم غمر بغا
١٧	الأشرف قايتباي	٨٧٣	٩٠١	١٤٦٨	١٤٩٦	
١٨	الناصر محمد بن قايتباي	٩٠١	٩٠٤	١٤٩٦	١٤٩٨	
١٩	الظاهر قانصوه	٩٠٤	٩٠٥	١٤٩٨	١٥٠٠	
٢٠	الأشرف جانبلاط	٩٠٥	٩٠٦	١٥٠٠	١٥٠١	
٢١	العاذل طرمان باي	٩٠٦	-	١٥٠١	-	
٢٢	الأشرف قانصوه الغوري	٩٠٦	٩٢٢	١٥٠١	١٥١٦	قتل في موقعة مرج دابق
٢٣	الأشرف طرمان باي	٩٢٢	٩٢٣	١٥١٦	١٥١٧	تم في عهده خضوع مصر للاتراك العثمانيين



ثبت المراجع

- ١ - ابن إياس : محمد بن أحمد (المتوفى سنة ٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ - ٢٤ م) :
« بدائع الزهور في وقائع الدهور » .
- ٢ - ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م) : رسالته
عن « الصوفية والفقراء » ، نشرها على أصلها المخطوط « السيد محمد رشيد
رضا ، منشئ المنار » (الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ م) .
- ٣ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م) « العبر
وديان المبتدأ والخبر » ، المعروف بتاريخ ابن خلدون - في ٧ أجزاء .
- ٤ - ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد (المتوفى سنة ٦٨١ هـ = ١٢٨١ م) .
« وفيات الأعيان » - في جزأين (طبع بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) .
- ٥ - ابن شداد : القاضي بهاء الدين (المتوفى سنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م) « كتاب
سيرة صلاح الدين » ، المعروف باسم « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ،
(القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ) .
- ٦ - ابن عربي : محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي (المتوفى سنة ٦٣٨ هـ =
١٢٤٠ م) : ١ - « الفتوح المكية » ، في ٤ أجزاء .
ب - « الاصطلاحات الصوفية » ، ج - « الديوان الكبير » .
- ٧ - أبو حديد : الاستاذ محمد فريد (المدير العام لمؤسسة الثقافة بوزارة
المعارف) ، « صلاح الدين وعصره » .
- ٨ - أحمد أمين : (الاستاذ بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة) :

- ١ - د فجر الإسلام ، (القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م) .
- ب - د ضحى الإسلام ، (القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م) .
- ٩ - الجيلاني : أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح (المتوفى سنة ٥٦١ هـ = ١١٦٥ - ٦٦ م) د الغنية لطالبي الحق عز وجل ، في جزأين (القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ) .
- ١٠ - حسن ابراهيم : الدكتور حسن ابراهيم حسن مدير عام جامعة محمد علي بأسبوط : ١ - د العاطميون في مصر ، (المطبعة الأميرية سنة ١٩٣٢ م)
ب - د تاريخ الإسلام السياسي ، - الجزء الأول (القاهرة سنة ١٩٣٥ م)
- ١١ - حسن خليفة : المراقب المساعد للتعليم الابتدائي بوزارة المعارف سابقاً ،
د الدولة العباسية - قيامها وسقوطها ، (القاهرة سنة ١٩٣١ م) .
- ١٢ - الحسيني : السيد عبد الرازق د موجز تاريخ البلدان العراقية ، (صيدا سنة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م) .
- ١٣ - الخفاجي : عبده حسن راشد المشهدي د النفحات الاحمدية ، والجواهر الصمدانية ، ، وعلى هامشه كتاب د الانوار الاحمدية في المناقب العلية ،
القاهرة سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٠٤ م) .
- ١٤ - دائرة المعارف الإسلامية : (Encyclopaedia of Islam) النسخة العربية - المجلد الأول : حرف الألف (ص ٤٦٥ - ٤٧٢) ، (القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م) .
- ١٥ - زين الدين : عبد الصمد ، داعي الحضرة الاحمدية في فاتحة القرن الحادي عشر الهجري : د الجواهر السنية في الكرامات والنسب الاحمدية ، مطبوع بالقاهرة سنة ١٣٠٢ هـ ، وله مخطوط بالمسكنة الاحمدية بطنطا ، وقد

- اتمنى الشيخ عبد الصمد من تأليف كتابه سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٩ م) .
- ١٦ - السيوطى : جلال الدين : ولد فى أسيرط سنة ٨٤٩ هـ ، وتوفى ودفن بها سنة ٩١١ هـ (= ١٥٠٥ م) : د حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، فى جزأين (القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ) .
- ١٧ - الشعرانى : عبد الوهاب (ولد بقلقشندة سنة ٨٩٨ هـ وتربى بساقية أبى شعرة التى إليها نسب ، وتوفى سنة ٩٧٣ هـ = ١٥٥٨ م) ومن مؤلفاته :
 ١ - د لوائح الأنوار فى طبقات الأخيار ، المعروف باسم د الطبقات الكبرى ، فى جزأين (القاهرة سنة ١٢٢٩ هـ) .
 ب - د لطائف المنن والأخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق ، (طبع سنة ١٢٨٨ هـ) .
 ج - د لوائح الأنوار القدسية فى بيان العمود المحمدية ، وبهامشه كتاب د البحر المورود فى الموائيق والعمود ، (القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ) .
- ١٨ - طوسون : المغفور له الأمير عمر طوسون : د أطلس أسفل الارضين ، .
- ١٩ - الظواهرى : محمد الاحمدى ، شيخ الارهر سابقاً ، (المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م) :
 ١ - د ذكرى تشرىف الخديو عباس حلى الثانى للجامع والمعهد الاحمدى بطنطا ، (طنطا سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م) .
 ب - د السياسة والازهر ، - مذكراته نشرها ابنه الدكتور نجر الدين الظواهرى (القاهرة سنة ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م) .
- ٢٠ - عنان : محمد عبد الله : ١ - د الحاكم بأمر الله ، (القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م)
 ب - د تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ،

تأليف د يوسف أشباح، (القاهرة سنة ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م).
ج - تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي، (القاهرة سنة ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م).

٢١ - الغزالي : محمد بن محمد المسكني بأبي حامد (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ = ١١١١ م):
١ - إحياء علوم الدين، في أربعة أجزاء. ب - سر العالمين وكشف
مافي الدارين، (القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ). ج - المنقذ من الضلال،
(القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ).

٢٢ - فلوتن : فان فلون العالم الهولندي والسيادة العربية والشيعة والاسرائيليات
في عهد بني أمية، تعريب الدكتور حسن ابراهيم (القاهرة سنة ١٩٣٤ م).
٢٣ - القلقشندي : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي، (المتوفى سنة ٨٢١ هـ = ١٤١٨ م) وصحح الأعشى في صناعة الانشا، في أربعة عشر جزءاً.
٢٤ - لينبول : ستانلي : (Lane - Poole, Stanley)

1 - A History of Egypt in the Middle Ages : (1914)
2 - Saladin & the Fall of the Kingdom of Jerusalem (1926)
٢٥ - مبارك : الدكتور زكي مبارك والتصوف الاسلامي في الادب والاخلاق،
في جزأين، (القاهرة سنة ١٩٣٨ م).

٢٦ - مبارك : المغفور له علي مبارك باشا (المتوفى سنة ١٣١١ هـ = ١٨٩٣ م):
١ - الخطط التوفيقية، في ١٣ جزءاً (القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ).
ب - علم الدين، مسامرات (الاسكندرية سنة ١٢٢٩ هـ).

٢٧ - مدكور وكرم : الدكتور ابراهيم بيومي مدكور عضو مجمع فؤاد الاول

اللغوى، والأستاذ يوسف كرم بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة : د دروس

في الفلسفة، (المطبعة الاميرية سنة ١٩٤٢ م) .

٢٨ - المقتطف : مجلة شهرية تصدر بالقاهرة - عدد خاص بعنوان د في مصر

الاسلامية، (سبتمبر سنة ١٩٣٧ م) .

٢٩ - المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م) :

١ - المراعي والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط

المقريزية (القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ) :

ب - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره الدكتور محمد مصطفى

زيادة، الأستاذ بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة (طبع دار الكتب

الملكية بالقاهرة) .

٣٠ - موير : (Muir, Sir William Temple) : تاريخ دول الممالك في

مصر، (من سنة ١٢٦٠ حتى سنة ١٥١٧ م) تعريب الاستاذين سليم

حسن بك ومحمود عابدين، (القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م) .

٣١ - ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ

= ١٢٢٩ م) ١ - مرصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، في ثمانية

أجزاء (طبع سنة ١٣١٠ هـ) .

ب - معجم البلدان، (القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م) .

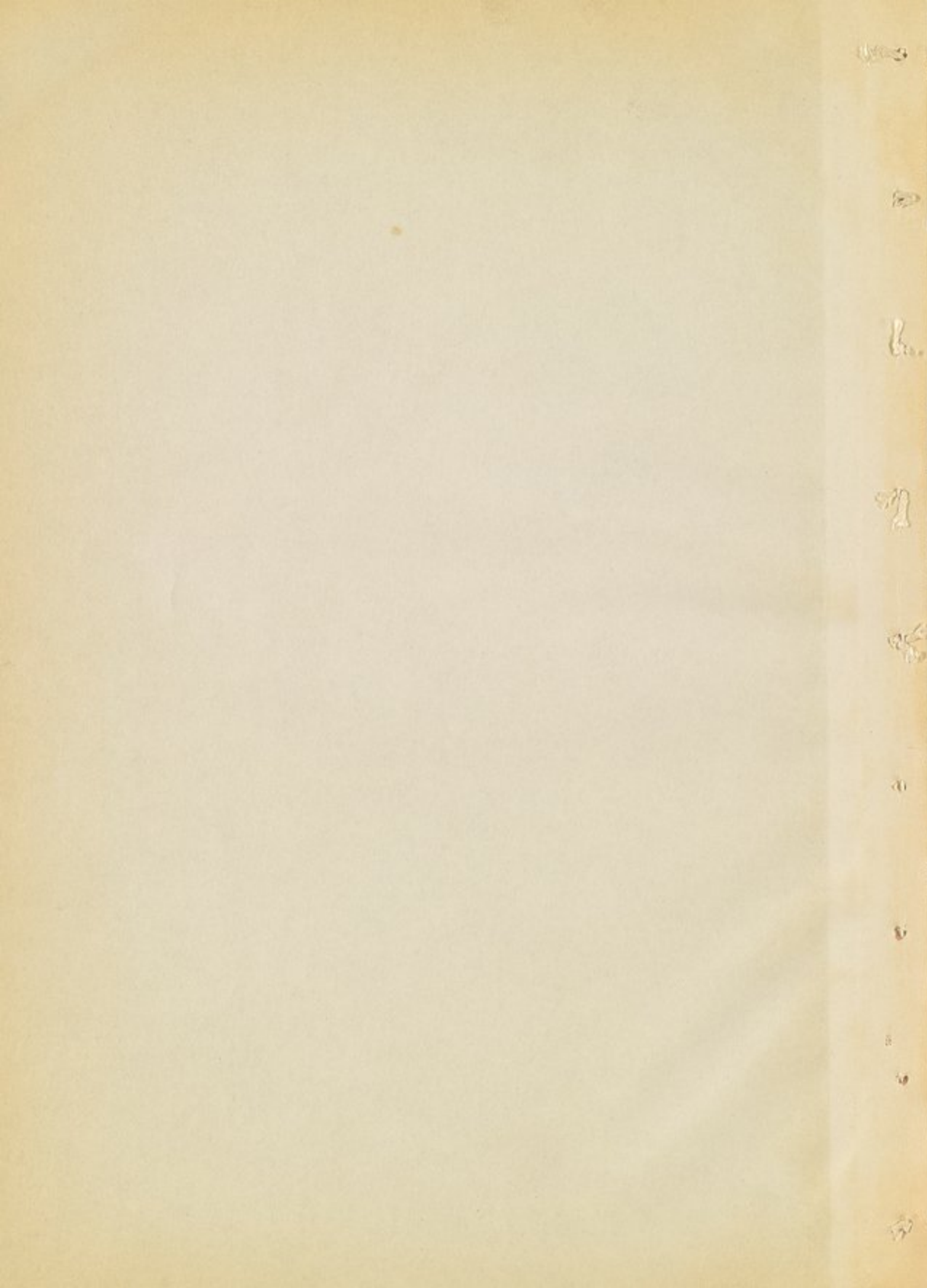


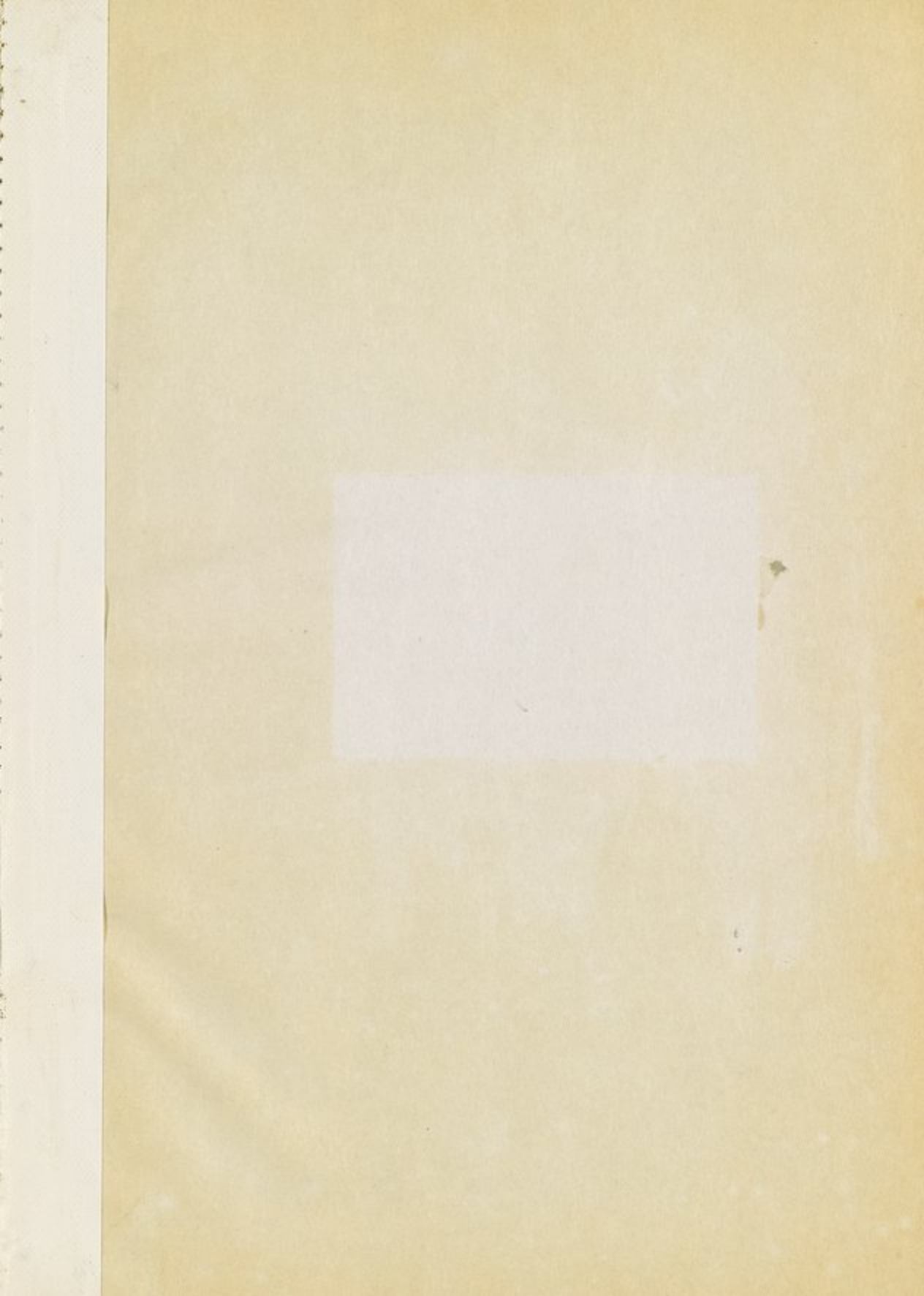
المطبعة اليوسيفية

طنطا - ميدان المديرية

جمادى الثانية سنة ١٣٦٩ - مارس سنة ١٩٥٠







LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074485911